إحسان
تزكية النفس.. وتصحيح المسار

الوِلَايةُ عِنْدَ غُلاةِ الصُّوفِيَّة

((عَرضٌ وَنَقْدٌ))



أ.د. محمد بن عبد اللّه البريدي

الوِلَايةُ
عِنْدَ غُلاةِ الصُّوفِيَّة
« عَرضٌ وَنَقْدٌ »

إعداد :

أ.د. محمد بن عبدالله البريدي

أكاديمي سعودي، أستاذ في كلية الشريعة وأصول الدين، في جامعة الملك خالد



المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد .

فإن موضوع الولاية من الموضوعات التي نالت اهتماما كبيراً عند الصوفية وأهل السنة والجماعة حيث تناولتها كل طائفة حسب أصولها الاعتقادية والفكرية، فأهل السنة فتناولوها في كتاباتهم من خلال نصوص الوحيين الكتاب والسنة الصحيحة ومعطياتها الشرعية التي تدل على أن الولاية وصف مثالي ينبغي أن يتحلى به كل مسلم كما قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس، ٦٢-٦٤].

فالولاية تقوم على ركنين أساسيين هما الإيمان والتقوى ، وهي في النهاية توصل إلى محبة الله تعالى ونصرته وتقريبه للعبد وتأمينه مما يخاف منه الناس في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وترتبط بالإيمان زيادة ونقصاً فإذا زاد إيمان العبد زادت ولايته وقربه من ربه وإذا نقص إيمانه نقصت ولايته.

ولم يكن الرعيل الأول يتكلفون رصد أفعال العبّاد والزّهاد وما قد يظهر لبعضهم من خرق عادة بكرامة أو فعل غير معتاد، اللهم إلا ما كان

من ذكرهم لتلك الوقائع وتناقلها وأخذ العبرة منها، وكونها تحّض على الإيمان والأعمال الصالحة والاجتهاد فيها ، ولم يكن أصحاب تلك الخوارق يحرصون على إظهارها، بل ربما أخفى بعضهم ما يحصل له منها مخافة على دينه، تلك كانت حال السلف ومن اقتفى أثرهم .

أما إذا نظرنا إلى تراث الصوفية ولاسيما الغلاة منهم ، فإننا نجد الحال يختلف لا من جهة الاهتمام بالخوارق، ولا من جهة الخروج بالولاية نفسها عن المعاني الشرعية، حيث أدخلوا فيها أموراً جديدة لا علاقة لها بالمعاني التي تفيدها كلمة «ولي الله » في القرآن والحديث، بل إنها تتمحور حول خدمة أغراض أخرى مثل تقديس أشخاص معينين إما من آل البيت، أو من متصوف يرجعون نسبه إلى آل بيت النبي ﷺ ، لاستعطاف الناس واستغلالٍ لمحبة النبي ﷺ وآله في قلوب الناس ، وإذا كان هذا في الأصل قد نشأ على أيدي الشيعة فقد امتد إلى الصوفية التي نبتت في أول أمرها في بيئة شيعية من أرض فارس والعراق حتى صار الكثير من المصطلحات الشيعية دارجة في كلام المتصوفة بنفس المعاني والدلالات، كالعصمة والحفظ ، وكذلك خرق العادة الخاص بالأولياء وحدهم كما هو للأئمة عند الشيعة ، حتى صارت كلمة «ولي» أو إمام ، أو «أولياء» في الإطلاق العام تعني رجال التصوف أو الشريف أو السيد المنتسب إلى آل البيت

كما أن غلاة الصوفية بالغوا في ربط الولاية ببعض المظاهر التي قد تظهر على أيدي بعض الناس ، ثم أدخلوها في نطاق المصطلحات الخاصة التي أبعدتها عن المعاني الشرعية كالقطب والأبدال والنجباء والأوتاد ، وأخرجوا الولاية في صورة عملية أكثر من ذي قبل ، وقد ظهر ذلك بشكل

واضح في مؤلفات الحكيم الترمذي ، ثم جاء ابن عربي وغالى فيها، وجعل كلامه مكملاً لما بدأه الترمذي ، وتحولت الولاية عن المعنى الشرعي الذي يسع كل المؤمنين بالله تعالى إلى طائفة خاصة، أو سلالة معينة تنتقل إليهم بالوراثة أو الوصية في طقوس ورسوم ومواصفات تتبعها مهام ووظائف ذات مراتب ودرجات واختصاصات معينة للأولياء ، ولكن من أخطر ما في تلك الانحرافات الجرأة والتطاول على مقام النبوة، والمفاضلة بين النبي والولي ، وأن ختم الولاية كختم الرسالة وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء ، وهي أمور لا يقولها مؤمن ولا يقبلها عاقل ، ويردها حتى عقلاء الصوفية .

وليس هذا من ضرب الخيال أو التجني ، بل إن الباحث في هذا الشأن يجد في طول العالم الإسلامي وعرضه كثيراً من الناس من أصحاب الدرجات العلمية،أو المناصب المرموقة يتبعون أحد المشائخ أو الدراويش ينتظرون منه مدداً أو كشفاً أو بركة يفيضها عليهم ، مما قد يجعل صلة بعض الناس بالأولياء أقوى من صلتهم بالله تعالى، فيصدقون بالخرافة ويتحرون الشطحات ، حتى كأنهم لا عقول لهم ولا وزن.

لذا رأيت الكتابة في هذا الموضوع - مع علمي- أنه تراث ضخم كل قضية منه تحتاج إلى مجلدات - لأن الصوفية فرق متعددة منهم الصالحون الزاهدون ، ومنهم من قد يخالط عمله شيء من البدعة مع صلاحه، ومنهم من شارك الباطنية والمشركين في معتقداتهم - وكل هؤلاء لهم أقوال وأفكار ومعتقدات تقترب من الحق وتبتعد بحسب إيمان

الشخص وتمسكه بالكتاب والسنة، وإنما الغرض إعطاء فكرة موجزة وواضحة عن أهم شيء عند غلاة الصوفية ، ألا وهو لقب **الولاية** التي تشبث بها الولي الصادق والدعي الكاذب ، وإني لأرجو ألا أتجاوز في القول ولا أبخس أحداً حقه وقدره ، وألا أرمي بريئاً بما ليس فيه ، فإن الأمة الإسلامية فيها الخير و لا تخلو من أولياء صادقين الله يعلمهم ، ولكن مناقشة الأقوال المنحرفة المخالفة للكتاب والسنة أمر مطلوب شرعاً وواجب ديني يلزم بيانه للناس ، وخاصة أن الأفكار القديمة هي التي يعتمد عليها الصوفية في هذا الزمن كما يظهر هذا في وسائل الإعلام المختلفة والمواقع الصوفية على الشبكة العنكبوتية ، وكذلك المؤلفات المعاصرة فمؤلفوها يجترون كلام الأوائل ويقررون كلام السابقين بأسلوب عصري ، وهذا أمر لا ينكر ، ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع [1].

سائلاً الله العلي القدير التوفيق والسداد، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يهدينا سواء السبيل .

ويشتمل هذا البحث على المباحث الآتية.

المبحث الأول : معنى الولي عند غلاة الصوفية:

وفيه المطالب الآتية :

- معنى الولي في اللغة والشرع .

---

(١) ينظر على سبيل المثال : موسوعة الكسنزان وموقع التصوف الإسلامي www.islamic.ufism.com

- بعض تعريفات الولي عند غلاة الصوفية.
- بعض الملحوظات على تلك التعريفات.

المبحث الثاني معنى الولاية عند غلاة الصوفية:

وفيه المطالب الآتية :

- اختلاف الصوفية في تعريف الولاية ونتيجة ذلك .
- بدايات التنظير للولاية عند الصوفية .
- أنواع الولاية عند غلاة الصوفية .
- ختم الولاية عند غلاة الصوفية .

المبحث الثالث : طريق الولاية عند الصوفية:

وفيه المطالب الآتية:

- تمهيد .
- بعض مداخل الولاية ومناقشتها .
  - الزهد .
  - الترهب.
  - الخلوة.

المبحث الرابع : موقف غلاة الصوفية من الكرامات :

وفيه المطالب الآتية :

- معنى الكرامة .
- إجماع الصوفية على إثبات الكرامة وتسهيل الوصول إليها.
- ربط الولاية بالكرامة وبيان الغلط في ذلك.

المبحث الخامس : العلاقة بين النبوة والولاية عند غلاة الصوفية ومناقشة ذلك :

وفيه مطلبان :

- تداخل كلام الصوفية في النبوة والولاية.
- المفاضلة بين النبي والولي عند غلاة الصوفية :

الخاتمة في أهم نتائج البحث .

الفهارس :

- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس المحتوى.

المبحث الأول:

معنى الولي عند غلاة الصوفيــة

معنى الولي في اللغة :

يطلق لفظ الولي في اللغة على عدة معان : منها القريب والمحب والصديق والنصير والمولى والمالك والعبد والمعتَق والمعتِق والجار والحليف .. وغيرها[1] . فهي كلمة قديمة قدم اللغة العربية وناطقيها ، وجاءت في النصوص الشرعية بمعان قريبة من هذه المعاني اللغوية قبل ظهور المعاني الاصطلاحية والرمزية .

معنى الولي في الشرع :

وردت كلمة «ولي» و «أولياء» في القرآن الكريم والسنة النبوية في عدد غير قليل من النصوص حيث وصف نفسه تعالى بأنه ﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] و﴿وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] و﴿وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4] و﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[5] ، وجاءت كلمة أولياء بالجمع دلالة على عباد الله المقربين ، في قوله

---

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٤١) . ط : الحلبي ، لسان العرب (١٥/ ٤٠٧) ، وأساس البلاغة للزمخشري (ص ٦٨٩) . القاموس المحيط (٤/ ٤٠٤) ، ط : المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

(٣) سورة آل عمران آية (٦٨) .

(٤) سورة الجاثية آية (١٩) .

(٥) سورة الشورى آية (٩) .

تعالى :﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [١]. ثم بينهم بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [٢].

قال ابن جرير الطبري ت (٣١٠هـ) «ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى»[٣].

فكل مؤمن تقي هو من أولياء الله تعالى ، قال سهل بن عبدالله التستري[٤]:«الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقات»[٥]، وقال : «الأولياء هم الذين يتبعون أمر الله ، وينتهون عما نهى تعالى عنه ويتبعون الرسول ﷺ»[٦] .

وجاء اللفظ في السنة النبوية بهذا المعنى ، وبمعان أخرى منها :

الحديث القدسي: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ...))[٧] وفي حديث آخر ((وإني لأثأر لأوليائي كما يثر الليث الحرب))[٨] أي أخذ ثأرهم ممن عاداهم .

---

(١) سورة يونس ، آية(٦٢) .

(٢) سورة يونس ، آية (٦٣) .

(٣) جامع البيان للطبري (٧/ ١٣٢).

(٤) هو أبو محمد سهل بن عبدالله التستري أحد أئمة الصوفية قالوا عنه لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ، ت (٢٨٣هـ) الرسالة القشيرية ص (٤٠٠) .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي (ص ٢٥٠) .

(٦) المصدر نفسه ص (١٢١) .

(٧) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨٤) حديث رقم (٦١٣٧) عن أبي هريرة .

(٨) أخرجه البغوي في شرح السنة عن أنس (٥/ ٢١، ٢٢، ٢٣) رقم الحديث (١٢٤٩) وأشار إليه ابن حجر في الفتح وقال في سنده ضعف ، الفتح (٢٤/ ١٣٧) .

فمادة «ولي» في الشرع لم تبتعد عن المعنى اللغوي، وإن كانت قد تخرج إلى معان أخرى بحسب الإضافة، مثل ولي الوراثة، وولي الدم، وولاية العصبة[1].

لكن هذه المعاني تطورت وكان أكثر تطورها في البيئات الشيعية ثم الصوفية؛ لأن الصوفية يدينون للشيعه بمعظم ما قالوه في الولاية والأولياء[2].

و سنرى إن شاء الله تعالى أن مفهوم الولي والولاية قد تجاوز به غلاة الصوفية إلى أمور أخرى بعيدة عن المعنى الشرعي الدال على النصرة والحماية والأمن من الخوف والقرب من الله تعالى للمؤمن التقي الذي تميز بهذه الأوصاف، إلى قرب ونصرة وحماية طائفة خاصة لها شروط ومواصفات معينة بعد أن كانت حقاً مشاعاً لكل الذين آمنوا وكانوا يتقون.

ولم يقفوا عند هذا الحد بل وخاضوا في مسائل ربما لم تخطر ببال أوائلهم، فكلما بعد الناس عن الأخذ بنصوص الكتاب والسنة وبعد الزمن عن القرون المفضلة وما كان عليه «الزهاد الأوائل» اتسعت زاوية الانحراف عن الحق في مفهوم الولاية والأولياء، وغيرهما من أمور الدين.

---

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث لأبن الأثير (٥/ ٢٢٨- ٢٣٠) و الولي والولاية في ضوء الكتاب والسنة للباحث ص(٥، ٦) بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى سنة ١٤٣٠هـ.

(٢) ينظر مقدمة ابن خلدون ص (٩٥) والصلة بين التصوف والتشيع (٢/ ١٠) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، أبو العلا عفيفي، ط: دار المعارف، سنة ١٩٦٣م.

بعض تعريفات الولي عند غلاة الصوفية:

١ - قال أبو سعيد الخراز [١]: « إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة ، بقي بلا هو ، فحينئذٍ صار العبد زمناً فانياً [٢]، فوقع في حفظه سبحانه وبريء من دعاوى نفسه »[٣].

٢- وقال الترمذي[٤] «هم الذين عليهم سمات ظاهرة من الله تعالى ، وقد علاهم بهاء القربة ونور الجلال وهيبة الكبرياء وأنس الوقار، فإذا نظرنا إليهم ذكر الله تعالى ، لما رأى عليهم من آثار الملكوت»[٥].

٣- أمَّا صاحب الإبريز فيذكر تعريف الولي عن بعض شيوخه فيقول : «من فتح على ذاته في الأسرار التي عند روحه ، وأزيل الحجاب الذي بينهما فهو ولي ، ومن بقيت ذاته محجوبة عن روحه فهو من جملة العوام» [٦] وقال أيضاً:

---

(١) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد صحب ذا النون المصري وبشر بن الحارث توفي (٢٧٧هـ) الرسالة القشيرية ص (٤٠٩).

(٢) الفناء : فناءان سقوط الأوصاف المذمومة ، والثاني : الاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق . التعريفات ص (١٨٤).

(٣) الرسالة القشيري (٢/ ٥٢٤) .

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي من كبار الشيوخ عند الصوفية له تصانيف في علوم القوم توفي (٣٢٠هـ) الرسالة القشيرية ترجمة رقم (١٧) ص (٤٠٠) .

(٥) ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص (٤٥٧) .

(٦) الإبريز ، لأحمد الملطي ص (٦٩).

« الولي من سلب من جميع الصفات البشرية وتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهراً وباطناً »[١] .

٤- قال الجرجاني[٢] « الولي : فعيل بمعنى فاعل وهو من توالت طاعاته من غير أن يتخللها عصيان»[٣].

٥- وهنالك بعض الأقوال أقرب إلى الهذيان مثل قول البسطامي[٤] : «أولياء الله عرائس الله تعالى ، ولا يرى العرائس إلا المحرمون ، فهم مخدرون عنده في حجاب الأنس ...»[٥].

بعض الملحوظات على هذه التعريفات :

الأولى : أن هذه التعريفات لا يكتفي أصحابها بما عرف في الكتاب والسنة، بل تزيد مواصفات جديدة تخرج الولي الصوفي عن الولاية الشرعية إلى معانٍ أخرى من علم الغيب وظهور آثار الملكوت على الأولياء.

الثانية : أن هذه التعريفات تراعي اعتبارات خاصة في الأولياء غير الاعتبار الشرعي المعروف قبل ظهور التصوف وأولياء الصوفية . وهذا

(١) جواهر المعاني لعلي حرازم (٢/ ٧٦) .

(٢) هو علي بن محمد المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف متصرف توفي (٨١٦هـ) الأعلام (٥/ ٧).

(٣) التعريفات ص (٢٥٦-٢٦٦).

(٤) هو طيفور ين عيسى البسطامي ت (٢٦١هـ) الرسالة القشيرية ص (٣٩٥- ٣٩٧) وقال عنه الذهبي : له نكت مليحة ،وجاء عنه أشياء لا مساغ لها ، الشأن في ثبوتها عنه أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر ... فتطوى لا يحتج بها ، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٨٦) .

(٥) المرجع السابق ص (٢٦١) .

تحجير للمعنى الشرعي الذي جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف .

الثالثة : في هذه التعريفات التركيز على مسألة عصمة الولي ، وهذا التشابه بين التشيع والتصوف في النظر إلى الأولياء عند الصوفية، والأئمة عند الشيعة، لأنهما نبتا وترعرعا زمناً طويلاً في بيئة واحدة هي البيئة العراقية والفارسية، غير أن الصوفية تجاوزوا الحدود التي رسمتها الشيعة(١). ومن المعلوم أن العصمة لا تكون إلاَّ للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

أما إذا نظرنا إلى تعريف صاحب جواهر المعاني(٢) فإننا نجده يبالغ في شخصية الولي ومواصفاته إلى درجة يوصله معها إلى علم الغيوب والتصرف المطلق في الكائنات ؛ إذ يقول : «الولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وتصرفاً» (٣) .

قلت وهذا من أشنع الأقوال ؛ لأنّ صاحبه يزعم حلول الألياء في الله تعالى وفناءهم فيه ، والأدهى من ذلك قوله : «إنّ الولي يسلب من الصفات البشرية ويتحلى بالصفات الإلهية »(٤) سبحانك هذا بهتان عظيم .

---

(١) ينظر : التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام لعفيفي ص (٢٩٢) .

(٢) هو : علي حرازم بن العربي كان حيناً سنة ١٢١٤هـ. معجم المؤلفين لرضا كحالة (٧/ ٥٧) .

(٣) جواهر المعاني (٢/ ٧٦) ، وانظر المزيد من التعريفات معجم المصطلحات الصوفية لأنور أبي خزام من ص(١٨٨-١٨٩) ، وموسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان لمحمد الكسنزان (٢/ ٢٥٤-٣١٩) ط: الأولى ، ١٤٢٦هـ ، دار آية ، بيروت ، نشر دار المحبة ، دمشق .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

فهذا الكلام وأمثاله لا يصح لما فيه من الغلو والكذب ؛ ولأن فيه نسبة ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى إلى بعض الخلق ، وذلك يدخل في شرك الربوبية وهو أعظم من شرك العرب في الجاهلية .

الرابعة : أن مثل هذه الأقوال المنحرفة تضلل عوام الناس الذين يتلقونها دون فهم لمعانيها، وإنما ثقة في قائليها، وتجعل طوائفهم تعتقد في غير الله تعالى ما لا يليق إلاَّ به تعالى ، حتى وجدت فئات تصدق كل ما يحاط بالإمام وبالولي من الكذب والخرافات.

إضافة إلى أن ذلك يفتح أبواباً من الشرور على الإسلام والمسلمين أمام الأعداء، وتقديمه بصورة مشوهة وكهنوتية تجعل أعداء الملة يتطاولون عليها وعلى المنتسبين إليها، وينسبون إلى الإسلام ما ليس منه ، بل يرجع إلى ثقافات وفلسفات غريبة على الإسلام الذي ارتضاه رب العالمين ، ويكفي الإشارة إلى أُنْمُوذج واحد من كلام بعض المستشرقين الذين درسوا الإسلام ، وعكفوا على تراث الصوفية ، ثم قاموا بدراسات وأبحاث في التصوف، ونسبوا كثيراً من الأقوال والأغلاط إلى المسلمين عامة بقصد أو بجهل .

يقول أحدهم[1] : «ويطلق المسلمون اسم الولي على الرجل الذي

---

(١) هو: المستشرق النصراني (نيكولسون) تعلم اللغة العربية والفارسية وألف في التراث الصوفي ، وحقق عدداً منه ، هلك سنة ١٩٤٥ م . ينظر : موسوعة المستشرقين ، عبدالرحمن بدوي ، ص (٥١٤)، ط ١٩٨٩ م ، بيروت .

وصل إلى مقام الفناء عن ذاته وإرادته وبقي بالإرادة الإلهية »[١] .

وهذا التعريف خاص بغلاة الصوفية، الذين استبطنوا مصطلحات الرافضة وأطلقوها على مشايخهم حسب قواعدهم وأصولهم ، لكنه يعمم بهذا الكلام كل من ينتسب إلى الإسلام ، مع أن هذا التعريف نتاج الفكر الصوفي المغلوط الذي ابتعد عن المعنى الشرعي المعلوم من نصوص السنة والكتاب، وعرفه السلف من النصوص الشرعية الثابتة.

مما سبق يتضح أن غلاة الصوفية يطلقون «الولي» على الذي بلغ الغاية بفضل قداسته وفنائه في الله تعالى، وكشف له الستر أو اتحد بذات الباري سبحانه وتعالى ، ومن ثم يقولون: إن الصوفية خاصة المسلمين ، والأولياء خاصة الصوفية ، فالمعنى أن الأولياء خاصة المسلمين، وأن الولاية أعلى مرتبة روحانية يصل إليها المسلم ، وأنه يمكن المفاضلة بين النبي والولي ، ويقولون : إن الولي بفضل ما بلغه من درجة القرب من الله والصفاء الروحي له قدرة خاصة على إدراك معاني الغيب والكشف الإلهامي عن حقائق الأشياء ، ومن هنا كثر ادعاء الكرامات للأولياء وخرق العادات بلا ضابط ، ولا سيما في البلاد الإسلامية التي ينتشر فيها الجهل، حيث تشكلت الأفكار التي كانت عند أهل تلك الأمصار قبل الفتح الإسلامي ، وبرز فيها الجانب الصوفي أكثر من غيرها ؛ لأنها كانت شيئاً موجوداً في حياتهم الدينية[٢] السالفة على الإسلام ، وربما تعلق عوامهم بالأولياء أكثر من

---

(١) ينظر : في التصوف الإسلامي وتاريخه ص(١٥٧) .

(٢) بتصرف من الثورة الروحية لعفيفي (ص ٢٩٣-٣٢٩).

التعلق بالله تعالى .

ولهذا يخطىء من يظن أن التركيز على تصحيح عقائد الناس من الأمور التي لم يعد الناس بحاجة إليها، بل الناس في كل فترة يحتاجون إلى من يجدد ما اندرس من أمور الدين، وخاصة أمور الاعتقاد لما يترتب عليها من قبول الأعمال وصحة الإيمان، وحصول الثواب، ونيل محبة الله تعالى ورضاه عن العبد والتي هي الولاية الحقيقية.

المبحث الثاني

تعريف الولاية عند غلاة الصوفية

- **اختلاف الصوفية في تعريف الولاية ونتيجة ذلك :**

تعددت تعاريف الولاية عند الصوفية لدرجة أنه يصعب حصرها والخروج بتعريف جامع مانع، ويتضح ذلك بذكر بعضها فمما يرويه الصوفية في تعريف الولاية

قول محمد عبد الجبار النفري[1] «الولاية هي وصف من أوصاف الاصطفاء»[2]، وهذا القول يكتنفه الغموض الشديد كما يلحظ في لفظ الإصطفاء.

وقول القاشاني[3] «هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه ، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن»[4].

---

(١) هو محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري من أئمة الصوفية في القرن الرابع الهجري في العراق من مؤلفاته المخاطبات (ت٣٥٤هـ) ، الطبقات الكبرى(١/ ٢٠١) الموسوعة الصوفية ص : (٣٩١).

(٢) موسوعة الكسنزان (٢٢/ ٢٦٠).

(٣) هو عبدالرزاق بن أحمد القيشاني ، أو الكاشاني أو الكاشي ، نسبة إلى قاشان مدينة قرب أصبهان ، شارح كتب الصوفية منها شرح تائية ابن الفارض واصطلاحات الصوفية، ت (٧٣٠هـ) ، الموسوعة الصوفية للحفني ص (٣٢٠) ومعجم المؤلفين (٥/ ٢١٥) .

(٤) اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص(٥٤) .

وقول الجيلي[1]: «الولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وأثر لذة وتصرفاً»[2]. وهذا الكلام فيه إشارة واضحة إلى حلول الولي واتحاده بمن تولاه.

وقال أحمد بن عجيبة[3]: «الولاية حصول الأنس بعد المكابدة، واعتناق الروح بعد المجاهدة»[4].

وقال: الحفني[5]: «الولاية قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وقيل تولي الحق سبحانه وتعالى بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وتصرفاً»[6]. أما هذا التعريف فهو نفس كلام الأوائل واستمرار العقائد الصوفية القدماء من غلاتهم لدى المعاصرين منهم والقول بأقوالهم.

---

(١) هو عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي من دعاة وحدة الوجود، من مؤلفاته المناظر الإلهية والوجود المطلق (ت. ٨٢٦هـ)، كشف الظنون (١/ ١٨٥) الفكر الصوفي عند الجيلي ليوسف زيدان (١٨٣-١٨٤).

(٢) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (٢/ ٨٥).

(٣) هو أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني أبو العباس من كبار صوفية الشاذلية بالمغرب من تصانيفه إيقاظ الهمم (ت: ١٢٢٤أو ١٢٢٥هـ) جمهرة الأولياء (٢/ ٢٦٧) و معجم المؤلفين (١/ ٣٠٠).

(٤) معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص (١٤) لابن عجيبة.

(٥) هو الدكتور عبدالمنعم محمد الحفني متصوف مصري معاصر ،درس في القاهرة وأمريكا وتخصص في التصوف و الفلسفة له عدة مؤلفات منها المعجم الصوفي، الموسوعة الصوفية، لعله لا زال حياً. ينظر: الموسوعة الصوفية له ص (١٢٥).

(٦) المعجم الصوفي ص (٢٦٣).

وهناك تعريفات أخرى جمعها أصحاب المعاجم في فترات مختلفة إلى عصرنا الحاضر[١] - فمنهم من عرفها بعلاماتها ومنهم من عرفها بآثارها ومنهم عرفها بمعان مبتدعة لا علاقة لها بالولاية الشرعية كما هي حال الغلاة من الصوفية الذين يعنون بها الاستغراق في شهود الربوبية والفناء عن شهود السوى ، وهذا يظهر التفاوت و الإختلاف بينهم فمن تعمق في التصوف فهو أكثر في الجرأة والتصريح أو التلميح، أما من كان غير غال في التصوف فنجد كلامه قريباً من الحق - .

ولذا يتبين : أن التعريف الجامع المانع للولاية عند المتصوفة يعد أمراً صعباً جداً ؛ لأنهم في الغالب الأعم يبتعدون عن الكلام في أمر الولاية على وجه التحديد الدقيق ، إلاَّ أن الباحث في الوقت نفسه يجد أن المتصوفة في أثناء كلامهم عنها أقرب إلى الكلام عن التوصيف والتوضيح للأحوال[٢] والمقامات[٣] التي يترقى فيها السالك أو التي تحل على الولي أو

---

(١) ينظر موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان لمحمد الكسنزان الحسني (٢٢/ ٢٥٩-٢٨٣). وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي للدكتور رفيق العجم، مكتبة لبنان، ناشرون . بيروت : ط الأولى ١٩٩٩م، (ص١٠٥١-١٠٥٥).

(٢) **الأحوال** : هي المواهب الفايضة على العبد من ربه ، إمَّا واردة عليه ميراثاً للعمل الصالح المزكي للنفس المصفى للقلب ، وإمَّا نازلة من الحق امتناناً محضاً ، وسميت أحوالاً لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية . معجم اصطلاحات الصوفية ص (٥٢) .

(٣) **المقامات** : عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك. ينظر : مصطلحات الصوفية ملحق بآخر التعريفات للجرجاني ، ص(٢٢٥) ، وانظر : اصطلاحات الصوفية للكاشاني ، ص(١٠٧) ، وكشاف اصطلاحات الفنون ، ص(١٦٢٧) .

يقيم فيها ، وهذا الاتجاه عند المتصوفة يُمكن وصفه بأنه أقرب ما يكون إلى الكلام عن الآثار الناتجة عن الولاية أكثر مِمَّا يُمكن اعتباره كلاماً عن الولاية نفسها .

إنّ المتصوفة يقيمون الولاية على مفاهيم واصطلاحات خاصة بهم مِمَّا يجعلنا نؤكد القول بأنّ القوم لهم في عرض مذهبهم في الولاية رمزية قد تتسم بالاستغلاق الشديد الموغل في الغموض ، ونجزم أنّ سبب هذا المسلك من جانبهم يعد سعياً لأنْ تبقى تلك الحقائق مستورة عن عامة الناس من غير المتصوفة تحت شعار ((المضنون به على غير أهله))[١] .

وهذا ما يفهم من كلام القشيري في رسالته حين يقول : «من المعلوم أنّ كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها انفردوا بها عن سواهم تواطأوا عليها لأغراض لهم فيها ، من تقريب الفهم على المخاطبين بها ، وتسهيل ذلك على أهل تلك الصنعة فيحسنوا الوقوف على معانيها بإطلاقها ، وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً في ما بينهم قصدوا الكشف عن معانيهم لأنفسهم والستر على من باينهم في طريقهم ، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف بل هي معان أودعها الله قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم »[٢]

وهذا توضيح ممن عرف مسلك القوم واعترض في رسالته على بعض

---

(١) ابن تيمية والتصوف ص(٣٩٣) ،مصطفى حلمي ، الولاية ص ٣٧ ، د/ سيد ميهوب .

(٢) الرسالة القشيرية ، (ص ٥٢) .

من أقوالهم وردها عليهم ، ثم أشار إلى أن مصطلح الولاية عند غلاة الصوفية قد انحرف عن المعنى الشرعي ، وإن كان يحاول الاعتذار لبعضهم.

ومن ثم نقول :إن تعريف الولاية عند الصوفية قد جاء مثقلاً بالدعاوى والإشارات والخرافات والأساطير التي ضاع معها المعنى في ذلك الركام .

بدايات التنظير للولاية عند الصوفية:

المجاهدات الصوفية قديمة قبل ظهور الإسلام بزمن سحيق في القدم من حين شعر الإنسان بحاجة إلى ترويض نفسه ومغالبة أهوائها[1] إلا أن بعض الباحثين يرى أنّ بدايات التنظير للولاية عند الصوفية ظهرت مع التفكير الشيعي في شخصية الإمام ؛ لأنّ الإمامة عند الشيعة أبرزت أنماطاً خاصة من الأشخاص، ثم وجدت لها صدى في الفكر الصوفي ، مِمَّا دعى الكثير من المفكرين إلى الاهتمام والربط بين أوجه التشابه والتفاعل الذي حصل بين كل من التصوف والتشيع في مسألة الإمامة والولاية على وجه الخصوص، ومع هذا التفاعل والتأثر بأفكار الشيعة من قبل الصوفية والصلة الوثيقة بين الطائفتين نجد أن هذه الأفكار قد توسع فيها غلاة الصوفية وخرجوا بها إلى معان بعيدة لربما لم تخطر على بال الشيعة في بداية الأمر، وإنما الذي لا شك فيه أن بدايات التنظير للولاية قد ظهر مع

(١) هناك نظريات في أصل التصوف وتأريخ نشأته، ينظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/ ٣٤/ ٤٨) تأليف إدريس محمد إدريس – نشر مكتبة الرشد – الرياض ط الأولى، ١٤٢١هـ.

الفكر الشيعي في شخص الإمام،[1] ثم دخلت الفكر الصوفي على إثر تبادل المصطلحات بين الطوائف ولا سيما التي تقدس الأشخاص من الفلاسفة والشيعة والصوفية؛ فإن انتظار المنتظر عند الشيعة نظير ارتباط الصوفية بالغوث وخاتم الأولياء[2].

ولكن نظرية الولاية بدأت تظهر بوضوح عند متصوفة القرنين الثاني والثالث الهجريين ، حيث كان لهم دور بارز في إخراجها بصورة عملية ، ولم تتأكد إلاَّ في جرأة حكيم ترمذ ، الذي جعلها محور فلسفته الصوفية وقطب معظم إنتاجه ، وكان ذلك ظاهراً حتى في أسماء كتبه ، أمثال : علم الأولياء ، وختم الأولياء ، وسيرة الأولياء ، وهذا الاهتمام من الترمذي بالولاية ، أدّى به في النهاية إلى أن تصوفه بكامله ليس سوى نظرية متكاملة في الولي وفي الولاية[3] ، حيث تكلم عن الأولياء والولاية بشكل جديد لم يسبق إليه ولعل الذي دفعه إلى الإهتمام بالأولياء والولاية وختمها والذي شكل نظريته في الولاية هو اتهامه بادعاء النبوة ، ثم الوشاية به عند حاكم بلخ وما حصل له من المحن [4] فأراد تبرئة ساحته من تلك الدعوى بخلاف

---

(١) ينظر لتوضيح هذه العلاقة مقدمة ابن خلدون (٦١٩- ٦٢١) و الصلة بين التصوف والتشيع ، كامل مصطفى الشيبي (٣٣٩-٣٧٩) ، والتصوف الثورة الروحية في الإسلام لعفيفي ، ص (٢٩١-٢٩٣).

ص (١، ١١٥، ٢٩١)،بين التصوف والتشيع لهاشم الحسيني ، ط دار المعرفة بدون تاريخ .

(٢) ينظر الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٣٦٣-٣٦٤) .

(٣) معجم اصطلاحات الصوفية لسعاد الحكيم ، ص(١٢٣٣) .

(٤) ينظر الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ص(٣٤) ، لعلى شود كيفيتش .

ادعاء الولاية وأنه خاتم لها كما في كتابه ختم الأولياء .

أنواع الولاية عند غلاة الصوفية

تعتبر الولاية في نظر هذه الطائفة درجة لا يصل إليها المرء بأعماله ومجاهداته وسلوكه، وإنما هي منحة إلاهية مقدرة أزلاً لا تكتسب بالجهد والعمل، بل يمنحها الله من يشاء من عباده فقد يكون الولي على حظ كبير من العبادة والزهد والمعرفة ، وقد لا يكون، ولكن صفة واحدة يجب أن يتصف بها، وهي اشتغاله بالله وحده وحياته فيه ، وهذا هو المعنى الذي يشيرون إليه بكلمة «الجذب» التي هي علامة على «الفناء» في الله ، فالولي عندهم هو «المجذوب» [1] إلى الله ، ومن كان بهذه المثابة كان ولياً ، وإذا ظهرت له "الكرامات " اعترف الناس بولايته في حياته وبعد مماته كما قال الخراز: « إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باباً من باب ذكره ، فإذا إستلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية ... فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هوى »[2] وهذا النص وأمثاله يشيرون به إلى فناء العبد عن نفسه وشهود أفعالها واستغراقه في شهود الفردانية والوحدانية والربوبية، ثم الوصول إلى الحقيقة المطلقة والتي تتضمن ترك التكاليف الشرعية.

---

(١) المجذوب : من اصطفاه الحق لنفسه ، واصطفاه بحضرة أنسه ، وأطلعه بجانب قدسه ففاز بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب ، التعريفات: ص٢١٥.

(٢) الرسالة القشيرية : ص (٢٦٣) .

وهم يقسمونها إلى أنواع، فمنهم من يقول: الولاية على ثلاثة أقسام : ولاية العام وهي الخروج من العداوة ، وولاية الخاص وهي الاختصاص بالمحبة، وولاية الأخص وهي الأصطفاء بالولاية[1]، بمعنى قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه ، وعند ذلك يتولاه الحق حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين[2].

ويلاحظ في هذا التركيز على الدرجة الثالثة وهي التي تقوم على الفناء، وجعلها أعلى مما سبقها التي يجعلونها للعوام.

ومنهم من يقول : الولاية الخاصة (فتح طلسم الكنز) خذ حروف الطلسم الإنساني واستخرج منها الاسم الروحاني ... وفتح الطلسم أن يدخل ولي الله حضرت الذات، وانجلت له الحقائق ... وهو ولي الله الكبير من حصل له الغنى واستراح من التعب[3]... والولاية العامة هي التي يتولى العبد رعاية حقوق الله سبحانه وتعالى صفة جامعة لما يحبه الرب ويرضاه، مانعة لما يسخطه ويأباه[4] وهذا التقسيم قريب من الأول ولكنه يعمد فيها إلى الرمزية والغموض أكثر من غيره.

وأما الترمذي فقد قسم الولاية إلى نوعين فقال :

النوع الأول : ولاية العموم ويسميها ، ولاية حق الله ، قال : وهي

---

(١) جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وكلمات الصوفية ص (٢٥، ٦٢) للكمشخانوي .

(٢) نفس المصدر ص (٢٧، ١٠٤).

(٣) قوانين حِكَم الإشراق ص (٣، ٥١) لجمال الدين الشاذلي .

(٤) نفس المصدر ص (٥، ٤٩) .

لرجل أفاق من سكرته فتاب إلى الله تعالى وعزم على الوفاء لله تعالى بتلك التوبة ... ، فهو رجل مؤدي للفرائض حافظ للحدود ، لا يشتغل بشيء غير ذلك ، يحرس هذه الجوارح حتى لا ينقطع الوفاء لله تعالى بما عزم عليه ، فسكنت نفسه وهدأت جوارحه .

النوع الثاني : ولاية الخصوص وهي لهؤلاء المجذوبين الذين جذبهم الله إليه عن طريقه ، فيتولى اصطفاءهم وتربيتهم حتى يصفي نفوسهم الترابية بأنواره كما يصفى جوهر المعدن بالنار ، حتى تزول ترابيته ، وتبقى النفس صافية وتمتد تلك التصفية حتى إذا بلغوا الغاية من الصفاء ، أوصلهم إلى أعلى المنازل ، وكشف لهم الغطاء عن المحل ، وأهدى إليهم عجائب من كلماته وعلومه ، وإنَّمَا يمتد ذلك لأن القلوب والنفوس لا تحتمل مرة واحدة كل ذلك ، فلا يزال يلطف بهم حتى يعوّدهم احتمال تلك الأهوال التي تستقبلهم من ملكه [1] وقد زعم أن «أهل هذا النوع على منازل فمنهم من أعطي ثلث النبوة،ومنهم من أعطي نصفها ومنهم من له الزيادة» [2] .

والترمذي من خلال مجموع كلامه عن الولي والولاية يتناقض ، فما يثبته في موضع ينقضه في موضع آخر ، علاوة على الأساطير التي يدعي أنها من لوازم الولاية، فيعرف الولي بما يتصف به عباد الرحمن [3] ، ولكنه يعود

(١) كتاب ختم الأولياء (ص ١١٨ ، ٤٠٩) .

(٢) نفس المرجع السابق ، وانظر :جامع كرامات الأولياء في أصنافهم ودرجاتهم في الولاية (١/ ٦٨-٧٩).

(٣) ختم الأولياء : ص (٣٣) .

فيدعي أن من اتصف بهذه الصفات « نقل من مرتبة إلى مرتبة مالك الملك، فرتب له بين يديه وصار يناجيه كفاحاً »[١].

وأقوال هؤلاء الغلاة تسير على هذا النحو من إضفاء صفات الربوبية على الأولياء ، وباختصار فإن الولاية بهذه المعاني الكفرية لا تحتاج إلى بيان ما فيها من الكفر بالله وشتمه وتنقصه سبحانه وتعالى والازدراء بالرسل عليهم الصلاة والسلام فهي معلومة الفساد والبطلان بأدنى عقل وأيسر برهان ، ويردها عقلاء الصوفية.

ختم الولاية عند غلاة الصوفية:

يُمكن القول : بأن الولاية بعد القرن الثالث الهجري أخذت عند الصوفية أهمية خاصة ، من حيث إنها أضحت الهدف المعلن وغير المعلن لسلوك السالكين[٢] ، ولم يقتصروا على ذلك بل حرصوا على ما يعرف عند المتصوفة بـ ((ختم الولاية)) التي وضع بذورها الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠ هـ) ، إذ هو أول من تحدث بذلك[٣]، وادعاها لنفسه، وجعلها محور فلسفته حيث قال : «ابتعث الله ولياً اصطفاه واجتباه ، وقرّبه وأدناه وأعطاه ما أعطى الأولياء وخصّه بخاتم الولاية ، فيكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء ، فيوجد عنده بذلك الختم صدق الولاية على سبيل ما وجد عند

---

(١) المرجع السابق ص(٣٣٢) .

(٢) المعجم الصوفي لسعاد الحكيم ص(١٢٣٣).

(٣) الفرقان لابن تيمية (ص ٧١) ، والفتاوى (١١/ ٤٤٤) .

محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من صدق النبوة »[١]، ويُعَدُّ ذلك من أخطائه[٢] فهو أول من ابتدع الكلام في ختم الولاية، وفي شخصية الولي بهذه الصورة، وأدخلها ضمن اصطلاحات التصوف[٣]، وكل من جاء بعده من المتصوفة فهو عالة عليه وتبع له في تلك المقالة حيث لم يأت متصوف مشهور من بعده إلاَّ وادّعى ختم الولاية لنفسه[٤].

ولما جاء ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) تابع الترمذي بصفة خاصة وبالغ في فكرة ختم الولاية وغالى فيها، وامتد بها فجعلها مكملة لختم النبوة، وذلك «موافقة لغلاة المتفلسفة الذين قد يجعلون الفيلسوف الكامل فوق النبي»[٥]، ثم ادّعاها لنفسه[٦]، فنجد أنه يقول عن الخاتم: هو العبد الواصل الذي قطع المقامات ووصل إلى نهاية الكمال[٧]، ويفتتح الباب الثالث والأربعين من الفتوحات بقصيدة يقول في مطلعها:

---

(١) ختم الأولياء (ص ٣٤٤، ٣٤٥)، وانظر: المزيد في صفات الولي نفس المصدر، والفصل العاشر منه بعنوان (علامات الأولياء)، ص (٣٤٦، ٢٤٧).

(٢) ينظر: الفرقان (ص ٧١)، والفتاوى (١١/ ٤٤٤).

(٣) كشف المحجوب للهجويري، ترجمة إسعاد قنديل (١/ ٢٣٩).

(٤) ينظر الفتاوى (١١/ ٣٦٣) والموسوعة الميسرة (١/ ٢٦٠-٢٧٩) في سرد أصحاب الطرق الذين زعموا ختم الولاية بهم.

(٥) ينظر الفتاوى (١١/ ١٥٨).

(٦) الفتوحات المكية (٢/ ٤٩)، وانظر: فصوص الحكم لابن عربي (فص حكمة نفثية في كلمة شيثية) ص(٦٢، ٦٣، ٦٤).

(٧) المعجم الصوفي للحفني ص (٨٥).

أنا ختم الولاية دون شك لورثي الهاشمي مع المسيح[1]

والمقصود بالهاشمي هو نبينا محمد ﷺ، وأما المسيح فابن عربي يدعي أنه أستاذه الأول[2]، وهذه القصيدة يصرح فيها باتصافه بـلقب الختم وهو يسبق – تاريخياً – اللبنتين[3] التي يبدو فيها أقل تأكيداً وأقل وضوحاً وصراحة[4] في هذه الدعوى، وبالنظر إلى مجموع كلامه نثراً وشعراً يتضح تمسكه بهذه الألقاب، ولكنه وجهها وجهة خاصة ليفسح لنفسه ادعاء ختم الولاية كما ادعاها الترمذي من قبل، لأنهما ليسا من الشيعة ولا من سلالة آل النبي ﷺ فيدعيان المهدية، لكن ابن عربي توسع فيها وألف فيها بشخصية مزدوجة مركبة من التصوف والتشيع وغلفها بفلسفته في وحدة الوجود فأخرجها في صورة شديدة الغموض أقل ما تثير في ذهن القارئ فهمين متناقضين تمام التناقض عن المراد بكلامه وما الذي يدين الله به هذا الرجل؟!

ولما لهذه الأسماء (الولي والإمام) من مكانة عند هذه الطوائف تشبثوا بها وغالوا فيها وإن كان بعضهم ممن لا يصح إسلامه فضلاً عن ولايته أو إمامته.

---

(١) الفتوحات (١/ ٢٤٤).

(٢) الفتوحات (١/ ١٥٥)، (٣/ ٤٣)، (٣٤١)، (٤٧٧).

(٣) الفتوحات (١/ ٣١٨-٣١٩).

(٤) ينظر :كتاب الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي لعلي شود كيفيتش وهي دراسة قيمة في موضوعها تتبع فيها كلام ابن عربي في معظم كتبه وأبرز دعوى ختم الولاية به، وأشار إلى تناقضات كثيرة، ترجمه من الفرنسية إلى العربية وقدم له الدكتور أحمد الطيب.

وفكرة ختم الأولياء من الأمور المبتدعة لم يرد بها الشرع، بل يقولها كل من تسول له نفسه الطعن على الأنبياء والمرسلين أو محاربة الشريعة من أتباع الباطنية والصوفية(١)، وقد بيّن العلماء بطلان هذه البدعة وخذلان أصحابها ، وأن قصدهم الوصول في نظر أتباعهم إلى رئاسة خاتم الأولياء على اعتبار أن خاتم الأولياء له مشكاة يأخذ منها الرسل والأنبياء(٢) ، وقد ذكر العلماء :أن آخر الأولياء لما لم يرد به الشرع بل سكت عنه فيعاد به إلى المعنى اللغوي فيكون في حقيقة الأمر هو آخر مؤمن تقي ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رَحِمَهُ اللهُ -(ت ٧٢٨هـ) « هذه تسمية باطلة لا أصل لها في كتاب ولا سنة ولا كلام مأثور عمن هو مقبول عند الأمة قبولاً عاماً ؛ لكن يعلم من حيث الجملة أنَ آخر من بقي من المؤمنين المتقين في العالم فهو آخر الأولياء »(٣).

وقد ذكر ابن تيمية أنّ فكرة المنتظر المعصوم عند الشيعة الذي هو آخر الأئمة هي نفسها ما يؤمن به كثير من الزهاد القائلين بإلياس والخضر ورجال الغيب والأوتاد والنجباء(٤) ، ثم يبين أنّ هذه الأسماء وغيرها لَمْ ينقل أحد عن النبي - ﷺ - بإسناد معروف أنه تكلم بشيء منها ولا أصحابه(٥) ، وأن الصواب الذي عليه محققو أهل

---

(١) جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٥١) ، (٤/ ٥٩) .

(٢) جامع الرسائل والمسائل (٤/ ٥٩) طبعة المنار ، الفرقان (١/ ٥١).

(٣) الفتاوى (١١/ ٣٦٥) وقد بسط ابن تيمية الرد على بدعة خاتم الأولياء في كتابه حقيقة مذهب الاتحادية (ص ١١٥-١٢٣) .

(٤) ينظر منهاج السنة (١/ ٩١) .

(٥) المرجع السابق (١/ ٩٤) .

العلم أنّ إلياس والخضر ماتا[١] ؛ لأنهما لو كانا حيين لوجب عليهما أن يؤمنا برسول الله - ﷺ - ويجاهدان معه كما أخذ الله الميثاق على الأنبياء وأتباعهم[٢] ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[٣]، وعلى أي حال في شأن الخضر أو غيره « إن كان نبياً فنبينا أفضل منه ، وإن لم يكن نبياً، فأبو بكر وعمر أفضل منه »[٤] .

قلتُ : وذلك لما ثبت من النصوص في فضله عليه السلام على سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين هم أشرف الخلق وكونه سيد ولد آدم ، وهذا لا يخفى ، وأمَّا فضل أبي بكر وعمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فقد روى الإمام الترمذي - رَحِمَهُ اللهُ - في فضلهما عن النبي ﷺ قال : « هذان سيدا كهول أهل الجَنَّة من الأولين والآخرين إلاَّ النبيين والمرسلين » قال الترمذي: حديث حسن [٥].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٩٦ - ٩٧) ، وانظر : ((الزهر النضر في نبأ الخضر)) ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المنيرية (٢/ ١٩٥ - ٢٣٤) ، ط : القاهرة ، ١٣٤٣ هـ ، وقال ابن حجر : ((والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته)).وانظر : منهاج السنة (١/ ٢٩٧) .

(٢) الرد على المنطقيين (ص ١٥٨) .

(٣) سورة آل عمران : من الآية ٨١ .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل (٥/ ٢) .

(٥) قال الألباني في مشكاة المصابيح :صحيح ، (٣/ ٣١٩) برقم (٥٠/ ٦٠) .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام بضع وثمانون نفساً أنه قال : ((خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر))[١] ، إذاً فهما أفضل الأولياء بنص رسول الله ﷺ[٢] .

---

(١) مجموعة الرسائل (٤/ ٦٠) ، وانظر : نفس المصدر (١/ ٥٢) ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند موقوفاً عن علي رضي الله عنه (٢/ ٣٨٨) وصححه الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٣٤٦) برقم (١٢٠١) .
(٢) الفرقان (١/ ٥٢) .

المبحث الثالث

طريق الولاية عند الصوفية

تمهيد :

من أكثر الأمور التي يسعى إليها الصوفية قديماً وحديثاً التحقق بالولاية ، وقد انقسموا في شأن تحصيلها من ناحية السلوك إلى فريقين:

الأول : يرى أنّ هذا التحقق لا يتم إلاَّ بعد أن يخلي العبد قلبه من كل شاغل ويفرغه من كل فكر إلاَّ في ذات الله تعالى[١]وأنه لا طريق للولاية ظاهر حتى تطلب ، وإنما هي أخذة تأخذ العبد على أي حال كان فتقلب عينه ولياً خالصاً في أسرع من لمح البصر[٢] ، وهي وهب تقلب الولي من حال إلى حال بغير حكمة من الله تعالى ولا إيمان من العبد ولا تقوى ولا عمل صالح يقرب العبد إلى ربه .

الثاني : يؤكد على أن التحقق بالولاية لا يتم إلاَّ بالتعلم وقراءة القرآن الكريم وحفظ الحديث الشريف ومعرفة الحلال والحرام[٣] والطاعة والتقوى .

واعتماد الصوفية على أحد الطريقين بني على أساس أن من فاته الاجتباء فإنه يحاول التعرض لنفحات الله فيعود على نفسه بالتطهير

---

(١) الإحياء للغزالي (٣/ ١٩) .

(٢) موسوعة الكسنـزان (٢٢/ ٢٦٩) .

(٣) الإحياء للغزالي ص (٣/ ١٩) .

والتنقية من الأدران ويعود على القلب فيخليه من المشاغل وكأنه بذلك قد ارجع عدم اجتبائه من البداية لأسباب انشغاله وامتلاء قلبه بغير ذكر الله تعالى.

ويلاحظ على الرأي الأول أنه يخلط بين اجتباء الله تعالى للأنبياء ، الذي هو محض فضل من الله ، وبين دعوى اكتساب النبوة ، وأنها تحصل بالاكتساب كما تقول الفلاسفة ، وهذا يناقض ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[1] ، فليس في النصوص ما يدل على ضرورة استعداد النبي وتخلية نفسه من الشواغل والأفكار حتى يوحى إليه أو يجتبى ، فكذلك الولي ، وهذا الفهم خطأ ممن قاله واعتقده في الولي.

وأمَّا الرأي الثاني فيشهد له الكتاب والسنة وعمل كثير من الزهاد الأوائل كالجنيد[2] الذي يقول: « عِلْمُنَا هذا مبني على الكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن »[3] .

---

(١) سورة الحج : الآية(٧٥).

(٢) هو : الجنيد بن محمد الزجاج أبو القاسم أصله من نهاوند ، كان فقيهاً يفتي الناس على مذهب أبي ثور ، ويعد من الزهاد مات سنة (٢٢٧هـ) ببغداد ، طبقات الصوفية ص (١٥٥) .

(٣) الرسالة القشيرية ص(٣٢) .

وروي أنّ واحداً ممن ينكر هذا الطريق طريق التعلم دخل على السري السقطي [١] فلما رأى عنده محبرة وقلماً خرج ولم يقعد عنده[٢]، وقال الجنيد : سمعت السري يقول : إذا ابتدأ الإنسان بالنسك ثم كتب الحديث فتر ، وإذا ابتدأ يكتب الحديث ثم تنسك نفد، ولم يكد النصر آباذي[٣] يستر ألواحه عن أحد ممن ينكر التعلم حتى ظهر فضل قراءته وكتابته على من أنكر عليه فافتخر بذلك عليهم[٤] .

ولاشك أن ولاية الله سبحانه للمؤمنين جميعاً من سعى إليها بصدق وسار في طريقها فكل مؤمن تقي هو لله ولي ، مع التفاوت فيها بحسب الإيمان والتقوى كما قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه [٥]، وأن الطريق إليها يحتاج إلى الجد في العمل بما يحب الله ويقرِّب إليه، وأنها ليست تركة تورث ، ولكنها منهج واضح وصراط مستقيم بينّه الله تعالى ورسوله

---

(١) هو : السري بن المغلس السقطي من كبار شيوخ الصوفية الأوائل أول من أظهر ببغداد التوحيد الصوفي توفي بها (٢٥٣أو٢٥١ هـ) ، طبقات الصوفية (ص ٤٨) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٥) .

(٢) جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٩٨) ، (٥/ ٨٤) .

(٣) هو : أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر أباذي ، شيخ خراسان في وقته ،صحب الشبلي والروذباري وجاور بمكة ، ت (٣٦٩هـ) الرسالة القشيرية (٤٣٧ – ٤٣٨) .

(٤) ينظر : موقف ابن تيمية من التصوف (ص ١٩٨) .

(٥) فتح الباري (٢/ ٤٥٧).

ﷺ وليس للولاية تحديد ينسب إلى شخص أو طائفة، اللهم إلا ما نص عليه الله تعالى كما في صحابة رسوله ﷺ وبينه رسوله ﷺ كما في العشرة المبشرين بالجنة[1].

بعض مداخل الولاية ومناقشتها :

لابد من معرفة بعض المداخل التي تعتبر أساسية في طريق الولاية عند الصوفية الذين يشترطون العمل والجهد للوصول إلى الولاية ولأنها مفاهيم شرعية جاء بها الكتاب والسنة أذكر ما خالطها من الانحراف عند الصوفية وهي :

١ – **الزهد** : يقال : زَهِدَ فيه وعنه – زهْداً ، و زَهادَة : أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته ، وزهد في الدنيا ترك حلالها مخافة الحساب وترك حرامها مخافة العقاب ، وتزهد الرجل صار عابداً والزاهد العابد.

وهو عند المتصوفة من المقامات الرفيعة الشأن[2] ؛ لأنّ الزاهد عندهم

---

(١) ينظر ولاية الله والطريق إليها (ص ١١٠-١١١) إبراهيم هلال.

(٢) ولذا قالوا : من لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مِمَّا بعده ؛ لأنّ حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد فيها رأس كل طاعة ، ويجعلونه ثلاث مراتب :

الأولى : للمبتدئين وحقيقتها إخلاء الأيدي من الأملاك وتخلي القلوب من الطمع .

والثانية : زهد المتحققين ، ويكون المرء زاهداً في كل ما تميل إليه نفسه من الأمور الدنيوية فيصبح المرء منقطع الصلة بكل ما في الدنيا ومِمَّا يورثه شعوراً بالراحة ويقيناً بالطمأنينة .

والثالثة : زهد العلماء أصحاب اليقين ، وهي تتمثل في الزهد نفسه فيصبح العالم في زهد عن أي شيء يشغله .

منصرف عن متاع الدنيا وطيباتها ، والعابد هو المواظب على فعل الطاعات ، والعارف هو المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره ، وهذه الثلاثة الأسماء تحقق للصوفي ثلاث صفات مرموقة عند عامة المتصوفة ، لكن أعلى هذه المقامات كما تؤكد أكثر الدراسات الصوفية هو مقام العارف ؛ لأنه كما يقولون يرتفع بعبادته وزهده حتى رأى نور الحق فانصرف إليه ، بحيث أصبح في فناء عن شهود السوى ، بمعنى أن الزهد عند غير العارف «معاملة ما، كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة ، وعند العارف[1] تنزهاً عن كل ما يشغل سره عن الحق وتكبراً على كل شيء غير الحق ، والعبادة عند غير العارف معاملة ما كأنه يعمل في الدنيا للآخرة حيث يأخذ أجره فيها ، أمَّا عند العارف فهي رياضة ما لهمته وقوى نفسه المتوهمة والمتخيلة ليجرها بالتعويد عن جناب الغرور إلى جناب الحق فتصير مسالِمَة للسر الباطن حيثما يتجلى الحق لا تنازعه »[2] .

وهذا الكلام يكشف عن أمور كثيرة تخالف الزهد الشرعي الذي ارتضاه الله عزّ وجل لعباده وأرسل به رسوله ﷺ وفهمه السلف الصالح - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-

---

ينظر : اللمع للطوسي (ص ٧٢، ٧٣) وما بعدها.

(١) العارف: من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال نفسه والمعرفة حاله ، التعريفات للجرجاني (٢٨٢).

(٢) الإشارات والتنبيهات لابن سينا (ص ٨٠١ - ٨٠٢) .

ويُمكن حصر تحصيل الصوفي للزهد في ناحيتين اثنتين هما :

أ - طلب الفقر :

وذلك بتخلية الأيدي من الأملاك ، بحيث لا يكن معك شيء تعطي منه أحداً[١] ، وقد غلب إطلاق مفهوم الزهد على الفقر[٢] في اصطلاح كثير من الناس خاصة المتصوفة بل هو عندهم أساس الزهد[٣].

ب - تجويع البطن وتعرية الجسد[٤] وتعذيب النفس والبدن بطول السهر:

والزهد بهذا المفهوم الصوفي مع ما فيه من مخالفة للسنة وإيذاء للأبدان سلوك يؤدي بصاحبه إلى الضعف والتخلي عن الدور القيادي الذي ينبغي أن تكون عليه الأمة الإسلامية ، ولم يكن دأب السلف الصالح المشهود لهم بالفضل والإمامة والخيرية والوسطية كذلك؛ لأنّ الزهد «النافع المشروع الذي يحبه الله ورسوله هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة ، فأمَّا ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته ، والزهد إنَّما يُراد ؛ لأنه زهد فيما يضر أو زهد فيما لا ينفع ، فأمَّا

---

(١) اللمع للطوسي ، (ص ٢٢) ، عوارف المعارف للسهروردي (ص ٩٥) ، والرسالة القشيرية (ص ٧١) .

(٢) الصوفية والفقراء ، لابن تيمية (ص ٢٧) .

(٣) إيقاظ الهمم ، (ص ٢١٣) .

(٤) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٢٦٧) .

الزهد في المنافع فجهل وضلال »[١] .

والمتأمل لنصوص الكتاب والسنة يجد نصوصاً كثيرة تحث على العمل من أجل الفوز بثواب الآخرة والنجاة من عذابها ، ويجد كذلك ما يحث على عدم الانغماس في شهوات الدنيا والركون إليها[٢] ، ويجد كذلك ما يحض على تزكية النفوس وتربيتها على الخوف من الله والرجاء المستمر لرحمته تعالى والتوكل الدائم عليه سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣] ، وقوله : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤]. وكما قال ﷺ: ((**ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**))[٥] ، وكان عليه الصلاة والسلام قدوة الزاهدين ينام على الحصير حتى أثر في جنبه وتألم الصحابة لذلك ، وكانوا يضعون حجراً واحداً على البطن من شدة الجوع ، وهو يضع الحجرين عليه الصلاة والسلام ، ولو أراد الدنيا لكانت له، ولكنه كان يأكل إذا وجد الأكل ، ولا يتكلف ، ولا يسرف عليه الصلاة والسلام ، وهكذا في جانب الزهد ، وفي المقابل نجد في نصوص القرآن والسنة نصوصاً كثيرة تحث على الأخذ بالأسباب وسلوك طريق الاكتساب وعدم العزوف عن

---

(١) ينظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥١١) .

(٢) ينظر : قطر الولي (ص ٤٦٩ – ٤٧٦) .

(٣) سورة آل عمران : من الآية (١٨٥) .

(٤) سورة الحديد : من الآية(٢١).

(٥) رواه ابن ماجه في الزهد ، باب : الزهد في الدنيا (٢/ ١٣٧٣ ، ١٣٧٤) حديث (٤١٠٢) وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ((هو صحيح)) أورده برقم (٩٤٤) .

الدنيا نهائياً ، مِمَّا يؤكد أنَّ الزهد المطلوب شرعاً ليس معناه القعود عن الاكتساب والعمل والانخلاع من الدنيا وملذاتها ألبتة ، ومن ثم الانقطاع لأداء الشعائر والنوافل على نحو التبتل والترهب ، قال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] ، وقد نهى النبي - ﷺ - سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهو في مرضه أن يتصدق بماله كله أو حتى بنصفه ، وأقره على الثلث وقال : ((**والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**))[2] . وقال عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك : ((**أمسك بعض مالك فهو خير لك**))[3] ، وقال عليه الصلاة والسلام ((**نعم المال الصالح للمرء الصالح**))[4].

والصوفية يعتبرون الزهد وسيلة لمعرفة الله وولايته لكنه بمعنى «الانتهاء عن الأكل الذي يقصد به تقوية البدن ، فالعجز عن أداء العبادات لضعف البدن الناشيء عن قلة الأكل أفضل من القدرة على

---

(١) سورة القصص : الآية(٧٧) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا ، باب (٢) (٢/ ٢٨٧) ، حديث رقم (٢٧٤٢) ، والإمام مسلم في الوصية، باب : الوصية بالثلث (٣/ ١٢٥٠ - ١٢٥١) .

(٣) أخرجه البخاري في الوصايا ، باب (١٦) (٢/ ٢٩٢) ، حديث رقم (٢٧٥٧) ، ومسلم في التوبة (٩) باب (٤/ ٢١٢٧) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٩٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٩٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢) و البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٢٤١) عن عمرو بن العاص (٣/ ٢٩٠)وصححه الألباني في مشكلة الفقر (١/ ٢٢) ، برقم (١٩) .

أدائها مع امتلاء البطن ، وصلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً »[1] !.

والزهد بهذا المعنى يختلف عن ما عرفه السلف ؛ لأنّ الإنسان إذا كان قوياً فقام بالعبادة على وجهها بعد أن أطعم نفسه بنية التقوي فهذا الإطعام يعد عبادة « أمَّا إذا تجوَّع الإنسان إلى أن يصلي قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ، فأي قربة في هذا الجوع المعطل لأداء العبادة »[2] ، بل هو من تلبيس إبليس على الصوفية لما في ذلك من إيذاء الأبدان ومخالفة للنصوص، وخاصة أن بعضهم يرى أن أحسن الصيام ما تأخر فيه الفطر إلى السحر لتقع العبادة في الليل على الجوع[3] وهذا يبين مخالفتهم للزهد الشرعي الذي جاء في القرآن والحديث.

وأيضاً لا يخفى ما في هذا التأخير من مخالفة للسنة ، وهو الأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور ، كقوله عليه السلام : ((**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**))[4] والمقصود من ذلك إظهار الخضوع والامتثال لأمر الله

---

(١) إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ط : الأميرية (٣/ ٨٧) .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص ٢٠٤) وما بعدها .

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص ٢٠٥ ، ٢١٣) . وقد نقد وعلق على كثير من كلام الحكيم الترمذي في كتابه ((رياضة النفوس)) ، وذكر أن الذي يأخذ بها جاء فيه تمتلئ نفسه هماً وغماً ، وفي ذلك كبتها وتعويقها عن النهوض بواجباتها الدنيوية والأخروية . ينظر : تلبيس إبليس ص (٢٠٤ ، ٢٠٥).

(٤) رواه البخاري في كتاب (الصوم) باب (تعجيل الإفطار) رقم (٢١٤) ، (٣/ ٨٥) ، ومسلم في كتاب (الصيام) باب (فضل السحور) حديث (١٠٩٨) عن سهل بن سعد (٢/ ٧٧١) .

تعالى حيث يمتنع عن الأكل عند الأمر بالامتناع ، ويبادر إليه حين يؤذن له فيه ، وفي ذلك تعظيم لأمر الله وشعائره ، وهي علامة على تقوى القلب .

وخلاصة القول : إنّ مفهوم الصوفية للزهد لم يقتصر على معناه الشرعي الذي دلت عليه نصوص الشريعة ، وعرفه السلف وإن تنوعت عباراتهم في التعبير عنه ، فقد قال سفيان بن عيينة ت (١٦١هـ) - رَحِمَهُ اللهُ - لما سئل عن معنى الزاهد في الدنيا ؟ ، فقال: « إذا أنعم عليه فشكر ، وإذا ابتلي ببلية فصبر فذلك الزهد »[١] .

وسئل مرة أخرى فقال : « الزهد فيما حرم الله ، فأمَّا ما أحل الله فقد أباحكه الله فإن النبيين قد نكحوا وركبوا ولبسوا وأكلوا لكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهاداً »[٢] . وقال الزهري ت (١٢٤هـ) - رَحِمَهُ اللهُ - : « إنه صرف النفس عن الشهوة »[٣] . وقال الحسن البصري (ت١١٠هـ) - رَحِمَهُ اللهُ - : « الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال : هو أفضل مني »[٤] . وقال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ): « كره مالك لبس الصوف لمن يجد غيره لما فيه من الشهرة بالزهد ؛ لأنّ خفاء العمل أولى فلم ينحصر التواضع في لبسه ، بل في القطن وفي غيره »[٥] .

فلم يقصدوا من الزهد البساطة أو الشهرة التي فسر بها المستشرقون

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤١٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤١٣) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٢١١) .

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ٢١١) .

(٥) ينظر : فتح الباري (١٠/ ٨٠) .

الزهد وأخذوه من كلام الصوفية، بل لابد أن يكون مؤسساً على الكتاب والسنة ، ويكون له أثر ومنفعة تعود على الزاهد في الدنيا والآخرة ، حيث ربطوا الزهد بالغاية الشرعية المفيدة في الدار الآخرة ولم يحرِّموا ما أحلّ الله لعباده من الطيبات والرزق ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾[(١)] الآية ، يقول ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) : « لا يحصل الإخلاص إلاَّ بعد الزهد، ولا زهد إلاَّ بتقوى ، والتقوى متابعة الأمر والنهي »[(٢)] .

بمعنى أن يكون جامعاً لمقام الرغبة والرهبة ، فلا يكون زاهداً من لم يرغب فيما يرجو نفعه ، ويرهب فيما يخاف ضرره[(٣)] .

٢ - **الترهب** : لغة : التعبد ، والراهب العابد من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهداً فيها ومعتزلاً أهلها ، وهو الانقطاع إلى العبادة وترك الكسب وهجر الحياة الاجتماعية، و الميل إلى الترهبن بمعنى حياة العزوبة كما يفعل الرهبان بمعنى : أن يحرم المرء نفسه من النكاح والمعاشرة الزوجية ، والمقصود التشديد على النفس في العبادة كالصوم والصلاة وترك مخالطة الناس والجمع والجماعات والدعوة والجهاد[(٤)]، ويرون أن « التجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير ، وأجمع لهمه وألذّ لعيشه ، بينما التزوج انحطاط عن العزيمة وتقييد بالأولاد والأزواج ودوران

---

(١) سورة الأعراف : من الآية (٣٢) .

(٢) الفتاوى (١/ ٩٤) .

(٣) ينظر : مدارج السالكين (١/ ١٣٦) .

(٤) ينظر القاموس المحيط (١/ ٧٩) ،واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٨٠) ، المعجم الوسيط (ص ٣٧٦) .

حول نطاق الاعوجاج والتفات إلى الدنيا »[١] . وقال بعضهم : « ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته »[٢] .

وهذا السلوك مع ما فيه من حرمان للنفس من غريزتها وفطرتها التي فطر عليها غالبية البشر ، فهو مخالف لدين الإسلام الذي حرص على التوازن والتوسط في تلبية رغبات النفس والبدن ، وهو مخالف لأقوال وأفعال الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والسلف الصالح - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - ، فإنّ الرسول ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة التي تعلو ولا يعلى عليها، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٣]. وقد نهى ﷺ عن الترهب والتنطع في العبادة وقال : ((**لكني أصوم ، وأفطر ، وأنام ، وأقوم ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني**))[٤] . وقال عليه الصلاة

---

(١) الإحياء للغزالي (١/ ٨) .

(٢) الإحياء للغزالي (١/ ٨١) .

(٣) سورة الأحزاب : الآية(٢١).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس (١٤٠١) ، والإمام أحمد (٣/ ٢٤١ و ٢٥٩ و ٢٨٥) ، والنسائي (٦/ ٦٠) ، وابن سعد (١/ ٣٧١ - ٣٧٢) ، والبيهقي (٧/ ٧٧) ، وهو عند الإمام البخاري برقم (٥٠٦٣) ، والبغوي (ص ٩٦) بنحوه ، وأخرج البخاري (٦٦٠١) و (٧٣٠١) ، ومسلم (٢٣٥٦) ، وأحمد (٦/ ٤٥) ، والنسائي في اليوم والليلة كما في التحفة (١٢/ ٣٢٠) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٤٣٦) ، والبغوي (ص ١٠٠) من حديث عائشة.

والسلام لعثمان بن مظعون : ((**يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا**))[١] .
ولما ذكر له عليه ﷺ أنّ أناساً من الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - أرادوا التبتل فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح، وحرَّموا طيبات الطعام واللباس إلاَّ ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾[٢][٣]، وقوله تعالى :﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا** ﴾[٤] ، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : رحمه الله أي « ابتدعتها أمة النصارى ،ما شرعنا ها وإنما التزموها من تلقاء أنفسهم...أي فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين (أحدهما) الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله (والثاني) في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل »[٥] .

وإذا سلكنا طريق المتصوفة أو طبقنا نظريتهم في الحياة وقارناها مع ما تقدم من النصوص نجد الفرق الكبير والبون الشاسع عن النظرة

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد في مسنده عن عائشة (٦/ ٢٢٦) قال الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٨١) صحيح ، رجاله رجال الشيخين .

(٢) سورة المائدة : الآية(٨٧) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح (٦/ ١٤٥) برقم (٥٠٧٣) ، و أخرجه البيهقي (٧/ ٧٧) ، وأحمد (٣/ ٢٥٩) ،.

(٤) سورة الحديد الآية (٢٧) .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٥) .

الإسلامية الصحيحة إلى الحياة التي نحن فيها وأمرنا أن نعمرها ، وأن نكاثر الأمم بالأولاد والأعمال الصالحة النافعة ، فلو طبقنا مفاهيم الصوفية هذه لانتهينا من الوجود الحضاري والقيادي والقيمي والمعرفي وأصبحنا أمة لا وزن لها وكنا نعمل ضد النصوص الشرعية التي تدعو إلى الأخذ بأسباب القوة والتمكين كما قال تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] والتي تحث على النكاح وطلب الذرية الصالحة القوية التي تحفظ الثغور وتقيم الحصون فهل تكون خير أمة أخرجت للناس ورجالها عرايا الأجساد جائعو البطون ونساؤها أرامل وأبناؤها يتامى يدفعهم اللئام ، إن كل دعوة للترهب بهذه الطريقة هي :دعوة إلى فناء الأمة وضعفها وتلاشيها من الوجود وتعطيل للحياة ومضادة لما جاء في دين الله تعالى.

٣ - الخلوة :

لغة : مكان الانفراد بالنفس أو بغيرها .

تعد الخلوة عند الصوفية هي الوحدة والانفراد والعزلة عن مخالطة الناس من المجاهدات العملية التي تجعل نفس السالك مهيأة لمجموعة الأحوال الصوفية كالوجد والفناء والمعرفة والكمال[2] .

---

(١) سورة آل عمران : من الآية (١١٠).

(٢) انظر : ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ، د/ أبو الوفاء التفتازاني (ص ١٣٨) ، ط : الأنجلو(١٩٥٨ م) ، وانظر : التصوف بين الحق والخلق (ص ١٦٧) .

قال الشبلي [1] : « الزم الوحدة وأمح اسمك من القوم واستقبل الجدار حتى تموت »[2] . وقال أبو طالب المكي[3]، أيضاً « تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهمم بأمر الخالق وتقوي العزم على الثبات » [4]؛ وذلك لأنها كما يقول الآخر « محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره » [5] ، والخلوة عند ابن عربي « محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد سواه » [6] هذه بعض معاني الخلوة عند القوم .

وأمَّا صورتها وكيفيتها فهي ما يتوسل به الزاهد إلى هذه المقاصد من التبتل والانقطاع إلى الله تعالى ،ولهذا جعل الصوفية الخلوة مدخلاً ضرورياً للوصول إلى الله تعالى وحسن الإيمان به وتجديد هذا الإيمان وإلاَّ فلا [7] .

حتى قال بعضهم : « إنه لم ير شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة

---

(١) هو : دلف بن جحدر أبو بكرب الشبلي من خراسان في الأصل بغدادي المولد والمنشأ تدرج في التصوف حتى صار أوحد وقته ، يقول عن نفسه ((أنا والحلاج شيء واحد)) ، (ت ٣٣٤هـ) ، الرسالة ص (١٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧٦٠) شطحات الصوفية (ص٢٤) .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٤٤) .

(٣) هو : محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب ، أخذوا عليه بعض كلامه في الصفات والوعظ فبدعوه وهجروه (ت ٣٨٦هـ) لسان الميزان (٢/ ٤٤٣) الوافي بالوفيات (١/ ٤٩٠) .

(٤) عوارف المعارف بهامش الإحياء (ص ٢٧٢) .

(٥) الكاشاني (ص ١٨٠) .

(٦) نفس المرجع .

(٧) قطر الولي (ص ١٦٧) .

ووصى أتباعه بأن تكون الخلوة خدنه ويكون الجوع طعامه وتكون المناجات حديثه فهو إمَّا أن يموت وإمَّا أن يصل إلى الله تعالى »[1]، وعند الصوفية أن أساس عمل المريد أربعة أشياء: ((الجوع والسهر والصمت والخلوة))[2].

ويعتقد الصوفية أنها تنتج تنوير القلوب وصفاء النفوس وصدق الفراسة وكشف الحجاب ورؤية الله وحدوث الكرامات ويكثر القائم بالخلوة من الصلاة والصيام وقراءة القرآن وذكر الله[3] .

وكيفية الخلوة كما يقول الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) : « لا تكون إلاَّ في بيت مظلم فإن لم يكن له مكان مظلم فيلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الآلة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية»[4].

و **الخلوة بهذه الصورة** ترجع إلى أصول غير إسلامية[5] ، بالإضافة إلى أن الخلوة والعزلة عن الناس على هذه الصورة توجه سلبي تأخذ صاحبها بعيداً عن الحياة والناس فمثلاً قول الجنيد (ت ٢٩٧هـ) « من أراد أن يسلم له

---

(١) نفس المرجع .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٤١) .

(٣) التصوف بين الحق والخلق (ص ١٦٧) .

(٤) الإحياء (٣/ ٦٥ - ٦٦) .

(٥) كما في قصة أخذ إبراهيم بن أدهم الخلوة عن راهب من النصارى. ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٨٨).

دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس »[١] . وهذا يؤدي بالمنعزل إلى الدوخان وفساد التصور واختلال التفكير الذي يترتب على الانطواء على النفس والبعد عن الإبداع الذي لا يستغني عنه أي عضو فعال في مجتمع ما[٢] كما يؤدي إلى التخلي عن أمر الله تعالى للأمة بالدعوة إلى الخير كما قال تعالى: ﴿ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾[٣] ، وقوله ﷺ : ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ...**))[٤] .

والعزلة بهذه الصورة تدل على عدم النفع للناس والتفاعل مع قضايا الأمة وعلاج مشكلاتها وعليه يصلح قولهم : « لا يتم قرب العبد من الحق إلاَّ ببعده عن الخلق »[٥] . قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) رحمه الله في رده عليهم: « إنَّما يكون فيمن لا نفع فيه للعباد أمَّا من كان ينفعهم بعلمه أو بموعظته أو بجهاده أو بإنكاره المنكرات أو بالقيام فيهم بما أوجب الله على مثله القيام به ، فهذا يكون قربه من الخلق أقرب إلى الحق وهو مقام الأنبياء

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ٥١) وما بعدها .

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (ص ٢٧) ، وانظر : التصوف بين الحق والخلق (ص ١٦٧ - ١٧١) .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب (الإيمان) باب (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان) رقم (٤٩) عن أبي سعيد(١/ ٦٩).

(٥) الرسالة القشيرية ، (ص ٥٣).

ومقام العلماء الذين أخذ الله عليهم البيان للناس»[1]. ثم التمس العذر لقول أبي قاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) فقال: «ويُمكن حمل كلامه على البعد عن الخلق بإقبال قلبه على الله سبحانه وعدم الاعتداد بها سواه، وأنه وإن خالطهم بظاهره فهو مع الله بباطنه، وهذا معنى حسن ومرتبة عالية»[2].

قلت: وهذا الاعتذار محله القبول مع حسن القصد الذي لا يعلمه إلاَّ الله، ولكن لم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يزيد عن الاعتكاف كما روت أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: ((**إن النبي ﷺكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عزّ وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده**))[3]، وكان يدخل معتكفه بعد صلاة الفجر وما كان يدخل بيته إلاَّ لحاجة، والاعتكاف يكون مع الصيام ويكون بمسجد تقام فيه الصلوات[4] لا في جبال أو مغارات مظلمة.

قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) : « كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد إلاَّ أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام

---

(١) قطر الولي، (ص ٤١٧ - ٤١٨).

(٢) قطر الولي، (ص ٤١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٥٠، ٩٢، ١٦٨).

(٤) انظر: سبل السلام (٢/ ٢٨٩)، والمغني بتحقيق التركي وآخرين، (٤/ ٤٦١).

بحق وإنَّما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين »[1].

ويُمكن النظر إلى مزيد من الأمثلة والترتيبات للعزلة عند الصوفية وهذا الاتجاه السلبي في السلوك في مصادرهم الكثيرة مثل طبقات الصوفية وغيرها[2] . وقد استُحِبَ للإنسان المسلم العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوعٍ في حرام وشبهات ونحوها. قال تعالى : ﴿ ففروا إلى الله﴾ . وجاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال رجل : أي الناس أفضل يا رسول الله ؟ قال: «مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» قال : ثم من ؟ قال :« ثم رجلٌ معتزلٌ في شعب من الشعاب يعبد ربه». وفي رواية : « يتقي الله، ويدع الناس من شره»[3]. وإلا فالأصل أن الاختلاط بالناس هو المختار الذي كان عليه رسول اللهﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم وكذلك الخلفاء الراشدون، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، وبه قال الشافعي، وأحمد وأكثر الفقهاء رضي الله عنهم أجمعين . قال الله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة كما في حديث ابن عمر الصحيح عند أحمد والترمذي وغيرهما : «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

---

(١) تلبيس إبليس (ص ٣٥٢) .

(٢) طبقات الصوفية عبدالوهاب الشعراني، ط : مكتبة صبيح القاهرة، (ص ٨٠)، وانظر : تلبيس إبليس (ص ٢٧٨)، جامع المسائل والرسائل لابن تيمية جـ ٢ صفحات متفرقة منها، وانظر : التصوف بين الحق والخلق ص(١٩٣) وما بعدها .

(٣) البخاري ١١/ ٢٨٤، ومسلم (١٨٨٨).

المبحث الرابع

موقف غلاة الصوفية من الكرامات

الإقرار بكرامات الأولياء من أصول أهل السنة والجماعة ، و الكلام هنا على ما خالطها من انحرافات على أيدي الصوفية ، لا على ثبوتها فهي ثابتة شرعا .

والكرامات جمع كرامة ، وهي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى علـى يـد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة ، معونة له على أمر دينـي أو دنيـوي[1] ، وهذا التعريف على المختار لكثرة الأقوال في حد الكرامة وعدم انضباطها .

إجماع الصوفية على إثبات الكرامات وتسهيل الوصول إليها :

يجمع المتصوفة على إثبات الخوارق للأولياء[2] ، ويسمون ما يجريه الله عزّ وجل على أيدي الأنبياء معجزات ، وما يجري على أيدي الأولياء من ذلك الباب كرامات ويقولون عن كرامات الأولياء : هي عبارة عن ما يظهره الله على يد الولي من أمور خارقة للعادة ويعدونها داخلة ضمن معجزات الأنبياء والرسل ، ولا يشترطون أن تكون دوماً خارقة لنواميس الكون أو خارجة عما ألفه البشر، ولا يلزم عندهم أن تكون لها صورة أو كيفية معينة[3] ، ويستدلون عليها بالكتاب والسنة كقصة مريم وقصة

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس ، ص(١٦٨) .

(٢) ينظر : جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/ ١٤ - ٢٣) المطلب الأول .

(٣) ينظر : نظرية الاتصال عند الصوفية - سارة آل سعود ، ص(٢٠٠).

أصحاب الكهف وما جرى من تلك الخوارق لبعض الصحابة[١] ولمن بعدهم من التابعين ويذكرون في ذلك كثيراً من المشاهدات والأحوال التي تحصل للأولياء[٢] .

يقول الكلاباذي [٣] : «أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء أو كلام البهائم ، وطي الأرض ، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته ، وقد جاءت الأخبار بها وصحت الروايات ونطق بها التنزيل من قصة الذي عنده علم من الكتاب ...»[٤] . ويقول أيضاً : « كرامة الولي بإجابة دعوة ، وتمام حال ، وقوة على فعل ، وكفاية مؤنة يقوم لهم الحق بها ، وهي مِمَّا يخرج عن العادات »[٥] وهذه الأقوال في جملتها موافقة لأقوال أهل السنة.

ويسهّل المتصوفة أمر الكرامة والوصول إليها على من زهد في الدنيا بإخلاص وصدق ويتناقلون كلاماً نسبوه إلى سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٨٣ هـ) في هذا الخصوص ، وهو قوله : « من زهد في الدنيا أربعين يوماً

---

(١) التعرف لمذهب التصوف ص(٧٢) وما بعدها .

(٢) ينظر : جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/ ٣٣) وما بعدها .

(٣) هو : أبو بكر محمد بن إسحاق الحنفي الكلاباذي ، من أعلام الصوفية ، ومن أشهر مؤلفاته التعرف لمذهب التصوف قالوا عنه (لولا التعرف لما عرف التصوف)(ت٣٨٠ هـ) انظر الموسوعة الصوفية (ص ٣٣٨) .

(٤) التعرف لمذهب التصوف للكلاباذي ص(٧١) ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠ هـ .

(٥) التعرف لمذهب التصوف ص(٧٤) .

صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات ، ومن لم تظهر له فلعدم الصدق في زهده ، فقيل لسهل : كيف تظهر له الكرامات ؟ قال : يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء »[1] ؟ وقيل لأبي يزيد (ت ٢٦١ هـ) : فلان يقال : إنه يمر في ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله ، وقيل له : إن فلاناً يمشي على الماء قال : الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك[2].

وقال الشعراني [3]: « أجمع القوم على أن كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لابد له أن يخرق العادة إذا شاءها »[4] .

ربط الولاية بالكرامة وبيان الغلط في ذلك :

وجعل المتصوفة كرامات الأولياء وخرق العادات أموراً مستوحاة من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لأن أمر الكرامة عندهم متأصل بالنبوة ، فليس بعد الولاية إلاَّ النبوة لا غير، بل إن أصل الولاية الكرامة وأخصّ أوصاف الأولياء التحقق بالكرامات وجريانها على أيديهم متى ما تمكنوا من الولاية ، يوضح هذا قولهم عن الولي : ((مِمَّا لاشك فيه إن الولي : من تولى الله بالطاعة ، وتولاه الله بالكرامة

(١) الرسالة القشيرية ص (١٥٨) .

(٢) اللمع للطوسي ص(٤٠٠) .

(٣) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني من علماء الصوفية ت (٩٧٣هـ) من آثاره الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ، وطبقات الشعراني الكبرى ينظر الضوء اللامع (٥/ ٩٧) ، وشذرات الذهب (٨/ ٥) .

(٤) اليواقيت والجواهر للشعراني (٢/ ١٠١) ، ط : البابي الحلبي سنة (١٩٥٩ م) .

والرعاية))[١] .

وهذا الحد يزيده بياناً وتوضيحاً كلام الكلاباذي ،عندما يقول عن الأولياء « إنهم إنَّما يعرفون بما يحدث الله فيهم من اللطائف التي يخص بها أولياءه ، وبما يورد على أسرارهم من الأحوال التي هي أعلام ولايته : من اختصاصه لهم به وجذبه لهم مِمَّا سواه إليه ... ووقوع المشاهدات والمكاشفات التي لا يجوز أن يفعلها إلاَّ بأهل خاصته... »[٢] .

وإذا سلمنا بمقتضى هذا التوصيف وجعلناه المعيار الوحيد في معرفة الأولياء وحسب وقعنا في الضلال والتبس حال أولياء الرحمن بحال أولياء الشيطان، وخاصة على الذين لا يستطيعون أن يفرقوا بين الفريقين ، وما يجري على أيديهم مما لم يألفه الناس .

وحتى لا تكون الولاية حقاً مشاعاً لكل أحد ، فإنه لابد من معرفة حال الشخص الذي تجري على يديه هذه الكرامة ، ومدى استقامته على الهدى الذي جاء به الرسول ﷺ وعرف من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة والأئمة ؛ لأنه ليس كل من حصل له شيء من هذه الخوارق يكون ولياً الله تعالى بل رُبَّما كان دعياً ، كما أنه ليس كل من حصلت له نعم الدنيا يعدّ ذا كرامة ، بل قد تخرق العادة لمن يكون تاركاً للفرائض مباشراً للفواحش والنجاسات ، و هذه الأحوال التي تصدر منهم لا تعدو أن تكون إمَّا مساعدة من شيطان جني ليضل بها الناس عن سبيل الله ويلبس عليهم

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/ ٧) .

(٢) التعرف لمذهب التصوف الكلاباذي (ص ٧٨) .

دينهم، أو هي استدراج من الله ومكر بصاحبها، أو هي رياضة تعود عليها، أو ما يعرف الآن بالحركات البهلوانية أو أعمال السحرة أو غيرهم مما يعرف (بالسيرك)، كالذي يعذب نفسه بآلات حادة أو مسامير ولا تؤثر فيه أو يقفز لمسافات كبيرة، ورُبَّما ترك بعضهم الطعام أياماً عديدة أو غير ذلك مِمَّا يشتهر به بعض الطوائف كدخول النَّار أو إمساك الأفاعي، أو غيرهم ممن ليس له علاقة حتى بدين الإسلام فضلاً عن الولاية والإيمان والتقوى، فإذا ما رآها من لا يعرف أسباب ومقتضيات تلك الأحوال والمخاريق عدها كرامات وأعلام ولاية لأصحابها، وذلك للمشابهة بين كرامات الصالحين وما يجري على أيدي ممن ليس منهم وعندئذٍ يحصل الخلط الكبير بين الأولياء الحقيقيين أهل الإيمان والتقوى الذين لهم كرامات حقيقة تخرق العادة وبين أدعياء دجالين يظهرون بعض المخاريق الشيطانية أو الحيل على أنها كرامات وهي ليست من الكرامات في شيء.

ومن هنا وقع خطأ المتصوفة في ربطهم الولاية بالكرامة أو ما يشبهها من الأحوال حين يقولون: «لا تتحقق ولاية بغير كرامة، وهي أمارة على صدق السلوك»[1]، وعندما يذكرون «عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون»[2] واتخاذهم شعاراً يرفعونه «كل ما كان معجزة لنبي جاز أن

---

(١) الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل ص (١٦٨).

(٢) هذا اللفظ من الأحاديث الموضوعة التي يعتمد عليها المتصوفة، ولم أقف عليه بعد البحث إلا في كتب الصوفية.

يكون كرامة لولي » [١] وما أشبه ذلك من العبارات التي توحي باعتماد الولاية لديهم على ظهور الكرامة أو الأمر غير المعهود، ومن ثم فقد قسموا الولاية على أساس حصول الكرامات إلى مراتب ودرجات ولهم في كل مرتبة أقوال ونظريات[٢] ، وعلى أساسها يقسمون البلاد والأقطار إلى ما يُمكن أن يسمى بمناطق نفوذ ودوائر اختصاص للسادة الأولياء ، فمن مكان كذا إلى كذا يقع في دائرة الولي الفلاني ، ومن حدود كذا إلى حدود كذا في دائرة الولي الفلاني[٣] .

وهكذا في أنواع ما يحصل لكل ولي من الكرامات لا يصح عندهم أن ينافسه فيه أحد غيره « كاختصاص الرفاعية بإمساك الثعابين وعدم التأثر بسمها »[٤] ، بل قد وصل الحال ببعضهم إلى ادعاء أمور عظيمة لا تجوز حتى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فضلاً عن الأولياء « كما يحكى الشعراني عن علي الخواص أنه كان محل كشفه اللوح المحفوظ » [٥] .

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ص (١/ ١٤) .

(٢) كما في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية لابن عربي ، وقد ذكر أربعاً وثمانين طبقة في ذلك . انظر: الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر ، تأليف : علي شود كيفيتش . ترجمة : د . أحمد الطيب .

(٣) ينظر : الصوفية في نظر الإسلام (١٥٣ – ١٨٥) .

(٤) موقف ابن تيمية من التصوف ص (٢٣٦) .

(٥) نفس المرجع والصفحة . وانظر : في جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/ ٥٥ – ٦٠) ففيها العجب العجاب .

وقال أحمد التجاني [1] ، عن الولي : « إنه خليفة الله يملكه الله كلمة التكوين حتى قال للشيء كن فيكون من حينه » [2] .

وغير هذا مِمَّا يضفي على شخصية الولي الصوفي ما لا يخفى على عاقل من أنه محض افتراء ممن قاله ، مع ما فيه من محادة لله تعالى ورسوله وتكذيب لما جاء به القرآن الكريم من تفرده سبحانه بالملك والتدبير عزّ وجل كما في

---

(١) هو أحمد بن محمد بن فتحا بن المختار التجاني مؤسس الطريقة التجانية بالمغرب (ت،١٢٣٠هـ) من آثاره السر الأبهر في أولاد القطب الأكبر ، وكتاب حزب المغني ، ينظر طبقات الشاذلية الكبرى (ص١٦٤) ، وإيضاح المكنون للبغدادي (١/ ٣٨٦) ويدعي أتباعه أنه خاتم الأولياء .

(٢) جواهر المعاني لعلي حرازم (٢/ ٨) ، وقد نقل الغزالي مثل هذه المقولة عن أحد أقطاب الصوفية في الإحياء (٤/ ٣٧٥ - ٣٧٦) ، وذكر مثل هذه الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في النبوات (٢/ ١٠٣٤) مثل قول بعضهم : ((لا يعزب عن قدرته ممكن ، كما لا يعزب عن قدرة ربه محال)) ثم قال - رَحِمَهُ اللهُ - : ((لما كثر في الغلاة من يقول بالحلول والاتحاد وإلهية بعض البشر كما قاله النصارى في المسيح صاروا يجعلون ما هو من خصائص الربوبية لبعض البشر ، وهذا كفر)) ، وبين أن هذا القول لغلاة الصوفية و ملاحدتهم كابن عربي وابن الفارض وابن سبعين ومن قبلهم الحلاج ، وقد نبه شيخ الإسلام إلى فساد قولهم هذا وأن ما ينسجون حول أوليائهم من الخرافات والحكايات التي يضاهون بها أفعال الله عزّ وجل ، فيجعلونهم يتصرفون في الأكوان وينفعون ويضرون من دون الله تعالى .

وقد ذكر ابن عربي في الفصوص (٢/ ١١٧) أن الولي الصوفي إذا وصل إلى غاية الطريق ((حق له أن يسمي نفسه لا باسم الولي وحده بل بأي اسم من الأسماء الإلهية)) سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم .

ينظر الكلام عنهم وعن مذهبهم وسلوكهم المنحرف على سبيل المثال : الفتاوى (١١/ ٦٠٦ ، ٦٠٧)، ومنهاج السنة (٢/ ٤١٥ - ٤١٦) ، والفرقان (ص ٢٤) ، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٥٥ - ٣٥٧) ، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٣/ ٥٤٧-٧٧١).

قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ، وقوله عزّ وجل : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾[2] .

و هذا الكلام وأمثاله يبين مدى ما وصل إليه حال هذه الطائفة واعتمادهم على ما قد يظهر لهم من مخاريق أو أمور أخرى قد ينسبها لهم بعض الأتباع زوراً وتُصنّف في باب الكرامات ، ويستدلون بها على ولاية الشخص ، ومن ثم رفع صاحبها إلى درجة الغلو، ومزاحمة الربوبية مما لا يصح لمخلوق ، وعند عدم المقياس الشرعي يقع الخلط بين أولياء الرحمن وغيرهم ممن ليسوا لله بأولياء، بل هدفهم التعالي على الناس وأخذ أموالهم بالباطل ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) سورة الأعراف : من الآية (٥٤).

(٢) سورة الجن : الآيتان(٢٦ ، ٢٧).

المبحث الخامس

العلاقة بين النبوة والولاية عند غلاة الصوفية

تداخل كلام الصوفية في النبوة والولاية:

لعل الدارس للتراث الصوفي يدرك القدر الكبير من الاتصال والتداخل بين كلام الصوفية عن الولاية وكلامهم عن النبوة من حيث اعتقادهم أنّ الولاية نهاية مرحلة ، والنبوة بداية مرحلة ؛ إذ إنهم يرون « أنّ منتهى الولاية هو مبتدأ النبوة ، فليس هناك بعد الولاية إلاّ النبوة سمواً ورفعة ، وينبغي التفرقة بين الولاية والنبوة على أساس أنّ النبوة تعني أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام - ما جاءوا إلاّ ليكونوا حجة الله على خلقه ، فلما أراد الله أن يبلغ الخلق بالنذارة والبشارة أرسل الأنبياء والمرسلين بهذه المهمة فلما قبضهم الله تعالى ، أقام العاملين بعلمهم وأنطق قلوبهم بما يصلح سائر الخلق نيابة عنهم - عليهم الصلاة والسلام - »[1] .

وهذا مع قولهم : إنّ النبوة ختمت بالنبي محمد ﷺ إلاّ أنهم يؤمنون بأن معنى النبوة قائم إلى يوم القيامة على يد من أقامهم الله تعالى من الأولياء الذين ينظر إليهم باعتبارهم خلفاء الله تعالى ورسله في

---

(١) الولاية بين الجيلاني وابن تيمية ، ط : دار الثقافة الجديدة للطباعة والنشر - القاهرة ،(١٩٩٠ م) ، (ص ٢٣) ، تأليف : أحمد الجزار .

الأرض[١]، وأن الولي يشترك مع النبي في ثلاثة أشياء : العلم من غير تعلم كسبي ، والثاني : الفعل بالهمة فيما جرت العادة ألا يفعل إلاَّ بالجسم أو لا قدرة للجسم عليه ، والثالث : في رؤية عالم الخيال في الحس[٢] بل زعم الترمذي أن للأولياء منازل في النبوة كما تقدم .

ولكن يُمكن النظر إلى فكرة العلاقة بين النبوة والولاية عند غلاة المتصوفة باعتبار أن الولاية «تولى الحق لعبد من عبيده بظهور أسمائه وصفاته عليه » [٣] ، وأن الولاية أيضاً «هي التصرف في الخلق بالحق ، وليست في الحقيقة إلا باطن النبوة»[٤] ، وأنّ النبوة « تولى الحق لعبده ثم إرجاعه إلى الخلق ليقوم بأمورهم في زمن معين يعلمهم ويدعوهم إلى الصلاح ، وكل نبي هو في نفس الوقت ولي لله وليس كل ولي نبياً ؛ لأنّ نهاية الولي هي بداية النبي » [٥] وقريب من هذا قول الشيخ عبدالقادر

---

(١) نفس المصدر (ص ٢٣ ، ٢٤) ، وانظر : فصوص الحكم لابن عربي (١/ ١٣٤) الفصل الرابع عشر (فص حكمة قدرية في كلمة عزيزية) وليس القصد وراثة العلماء للأنبياء كما يدل سياق النص .

(٢) ينظر : الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي ص(٥٨) ، علي شود كيفيتش ، ط الأولى ، دار القبة الزرقاء ، مراكش ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م .

(٣) عبدا لكريم الجيلي فيلسوف الصوفية (ص ٢٠٨) ، يوسف زيدان، المعجم الصوفي للحفني ص (٢٦٣).

(٤) ختم الأولياء للترمذي ، (ص ٤٨٤) .

(٥) عبدا لكريم الجيلي فيلسوف الصوفية (ص ٢٠٨) ، الإنسان الكامل للجيلي (١٦٦- ١٦٧ س)، ونفس هذا الكلام يقرره الحفني الصوفي المعاصر . ينظر المعجم الصوفي له ص (٢٦٣).

الجيلاني[1] : « النبوة كلام من الله تعالى ووحيه لأنبيائه ، وهذا الأمر يلزمه التصديق ممن جاءت إليهم النبوة ، ومن ثم فمن يرد كلام الله ووحيه للأنبياء فهو كافر ، من حيث إنه رادّ لكلام الله تعالى ، والأمر على غير ذلك لمقام الولاية ؛ إذ الولاية مقام للولي الذي تولى الله تعالى حديثه فله من الحديث من الله تعالى على قلبه ، ومن ردّ الحديث لم يكفر وإنّما يخيب ويصير وبالاً عليه ؛ لأنه يرد على الحق تعالى ما جاء محبة منه لبعض من عباده »[2] والمراد بالحديث الذي يشير إليه ما يلقى في قلوب الأولياء من التحديث أو الإلهام .

وفي نفس الوقت الذي نرى فيه غلاة المتصوفة تجعل للنبي ﷺ المقام الأعلى من الكمال، نراهم يعتقدون في وجوده ﷺ في صور وملابس عديدة من الأولياء فيقولون : « لم يتعين أحد بما تعين به ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له الانفراد فيه فهو الإنسان الكامل ، ومطلق لفظ الإنسان الكامل أريد به محمد ﷺ تأدباً بمقامه الأعلى ومحله الأكمل الأسنى، وهناك في هذه التسمية إشارات له وتنبيهات على مطلق مقام الإنسان الكامل لا يسوغ إضافة تلك الإشارات ولا يجوز سياق تلك العبارات إلاَّ لاسم محمد ﷺ إذ هو الإنسان الكامل بالاتفاق وليس لأحد من الكمال ماله من

---

(١) هو : الشيخ عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي الحنبلي ، وقيل عبدالقادر بن موسى ، قال عنه الذهبي : إنه (كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض أقواله و دعاويه) وقال في بداية ترجمته : شيخ الإسلام وعلم الأولياء من مصنفاته الغنية لطالب طريق الحق ، ت (٥٦١هـ) ، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩-٤٥١) ، و المنتظم (١٨/ ١٧٣) .

(٢) الولاية بين الجيلاني وابن تيمية ، أحمد الجزار (ص ٢٤) ، والإنسان الكامل (٢/ ١٦٧).

الخلق والأخلاق ﷺ »[١].

ويقولون أيضاً : إنّ النبي ﷺ يتنوع في ملابس ويظهر في شخوص ومظاهر كثيرة ، وإنه « القطب الذي تدور عليه الأفلاك من أول الوجود إلى آخره ، هو واحد منذ كان الوجود وإلى أبد الآبدين ، وله تنوع في ملابس ويظهر في كنائس »[٢] بل إن بعضهم يرى أنه ((قد اجتمع بالنبي ﷺ في صورة الشيخ شرف الدين الجبرتي ، وكان لايعلم أنه النبي ﷺ))[٣] وسرّ هذا فيما يراه صاحب هذه المقالة ((أنّ النبي ﷺ له تمكن من التصور بكل صورة))[٤] ، ويقول : ((إنّ النبي ﷺ ظهر في صورة الشبلي فقال الشبلي لتلميذ له : اشهد أني رسول الله ، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه فقال : أشهدُ أنّك رسول الله ، هذا أمر غير منكور))[٥] !! .

وقد يفهم من مثل هذا الكلام تصور التناسخ ، ولكن المتصوفة يقولون : ببطلان هذا التصور . يقول الجيلي (ت٨٠٥هـ): « إياك أن تتوهم شيئاً من هذا التناسخ حاشا الله وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون ذلك المراد بل إنّ رسول الله ﷺ له من التمكن في التصور بكل حتى يتجلى في هذه الصورة ، وقد جرت سنته أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، ليعلي من شأنهم ويقيم ميلانهم فهم خلفاؤه في الظاهر

---

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر الأوائل للجيلي (٢/ ٩١) .

(٢) المصدر السابق (٢/ ٩٤) .

(٣) المصدر السابق (٢/ ٩٤) .

(٤) المصدر السابق (٢/ ٩٤)) .

(٥) المصدر السابق (٢/ ٩٤).

وهو حقيقتهم في الباطن »[١].

وفي موضع آخر يقولون عن العلاقة بين النبوة والولاية « حضرة العبودية حيث سمّى الله نبيه بعبده فقال : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[٢] وفيه نبيء وأرسل إلى الخلق ليكون رحمة للعالمين ، فليس للمحققين من هذا المقام إلاَّ التسمي بعده بسماته فهم خلفاء محمد ﷺ في جميع الحضرات ما خلا ما اختص به في الله مِمَّا انفرد به عنهم ، فمن اقتصر من المحققين على نفسه فقد ناب عن محمد ﷺ في مقام النبوة ومن يهدي إلى الله كسادتنا المشايخ[٣] الكمل فقد ناب عنه ﷺ في الرسالة ، ولا يزال هذا الدين قائماً مادام على وجه الأرض واحد من هذه الطائفة إنهم خلفاء محمد ﷺ يذبون عن دينه كما يذب الراعي عن الغنم ، فهم إخوانه الذين أشار إليهم بقوله : (واشوقاه إلى إخواني الذين يأتون من بعدي ، فهؤلاء أنبياء لا أولياء يريد بذلك نبوة القرب والإعلام والحكم الإلهي لا نبوة التشريع .. فهؤلاء منبئون بعلوم الأنبياء من غير واسطة)[٤].

وهذا الانحراف في مفهوم الولاية والمغالاة في ربطها بالنبوة يعزى إلى المغالاة في شخصية ((الولي)) كما غلت الشيعة في شخص الإمام والمتفلسفة في الفيلسوف ، وهذا التشابه بين هذه الفرق نشأ على إثر تبادل

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٩٥) .

(٢) سورة الإسراء : من الآية (١) .

(٣) قال الحفني (مثل أبي يزيد والجنيد والشيخ عبدالقادر ومحي الدين ابن عربي وأمثالهم) ، المعجم الصوفي ص (٢٦٣).

(٤) الإنسان الكامل (٢/ ١٦٦) .

معظم الأفكار فيما بينها ، خلال نشر كل طائفة لدعواتها مستفيدة مِمَّا عند الطوائف الأخرى « فإن الصوفية الفلاسفة قد استخدموا أفكار الشيعة الباطنية بمهارة ، تحت ستار الأسماء المختلفة كالولاية أو المهدية أو ختم الولاية أو الرسالة أو المشيخة »[1] ، كما قالت الإسماعيلية إن القائم خير من النبي ﷺ[2] .

وهذا الغلو في بعض الشخصيات من غلاة جهال النساك ومن الرافضة في الأئمة سببه الجهل والانقياد لما لا يعلم صحته فقد انعكس تأثير التشيع على التصوف حتى ظهر ما يعرف عندهم بالقطب والغوث[3] وما شابهها من الأسماء التي لها مكانة مرموقة عند تلك الطوائف ، وهذه الأقوال مع ما فيها من الغلو فهي كذب وافتراء ودعوى الحلول في شخص الولي مما يفضي إلى القول بوحدة الوجود وهي من الكفر البواح الذي لايقوله عاقل يعي ما يقول ، ولا يقره حتى عقلاء الصوفية .

ثم إن هذه المعتقدات في قدرة السادة أو الأولياء معلومة البطلان ، كمن يظن أن الولي أو الإمام له القدرة على الرزق أو إجابة الدعاء أو علم الغيب أو جلب المنافع ودفع المضار حياً أو ميتاً ؛ لأنّ ذلك لله وحده يفعله بما يشاء من الأسباب ، ولا يدخل في هذا واسطة الرسل﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4] قوله تعالى :﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[5].

---

(١) بغية المرتاد (ص ١٢٠ ، ٨١٠) .

(٢) ابن تيمية والتصوف ص(٣٤٠) .

(٣) المرجع السابق ص(٣٩٨) .

(٤) سورة يس ، آية (٨٢).

(٥) سورة القمر ، آية (٥٠).

المفاضلة بين النبي والولي عند غلاة الصوفية ومناقشة ذلك :

يرى بعض الباحثين أن مسألة المفاضلة بين الأنبياء والأولياء في التصوف ظهرت على يد متصوفة الإمامية بالكوفة ثم ظهرت بعد ذلك في كلام متصوفة الشام ، وكل هؤلاء يذهبون إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء في الجملة[1] ، وكان أول من اشتهر عنه هذا القول هو محمد بن علي الترمذي الذي يستشهد بالأحاديث على دعواه مثل قوله ﷺ **((إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم إلى الله تعالى))**[2] . وقد بالغ الصوفية في الولاية حتى فضلها بعضهم على النبوة والرسالة وفضلوا الأولياء على الأنبياء والرسل ، ومن الأقوال التي يتناقلونها في كتبهم عن ساداتهم وكبرائهم مثل قول أبي يزيد البسطامي : « خضنا بحوراً وقفت الأنبياء بسواحلها »[3] ،وقوله « تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ لوائي من نور تحته الجن والأنس كلهم من النبيين »[4] وقولهم : «معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تؤتوه »[5] ، وقد صرح بعضهم

---

(١) باختصار من التصوف الثورة الروحية (ص ٣٠٤) ، والصلة بين التصوف والتشيع ص (٣٤٨) .

(٢) ختم الأولياء في جواب السؤال السادس والأربعين بعد المائة ص (٣١٨) ، والحديث بهذا اللفظ رواه عبد الرزاق (١١/ ٢٠٢) عن أبي مالك الأشعري ، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١٠/ ٧) برقم (٣٤٦٤) .

(٣) الإبريز للدباغ (ص ٢٧٦) ، جمهرة الأولياء للمنوفي (١/ ٢٦٦) ، الإنسان الكامل للجيلي (١/ ١٢٤) .

(٤) النور من كلمات أبي طيفور البسطامي للسهلجي ضمن كتاب شطحات الصوفية (ص ١٤٣).

(٥) الإنسان الكامل للجيلي (١/ ١٢٤) .

بقوله :

مقام النبوة فـــي برزخ   فويق الرسول ودون الولي[١]

وقال ابن عربي: إن المرسلين من كونهم أولياء لا يرون إلا من مشكاة خاتم الأولياء[٢] ، وأن ولاية محمد ﷺ أفضل من نبوته، وزعم أن الأولياء شاركوه ﷺ في الولاية التي هي أفضل من رسالته وزعم أن الأولياء يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحي إلى الرسل[٣] عليهم الصلاة والسلام ، وزعم «أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء ، وأن الأنبياء جميعهم إنما يستمدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء»[٤].

وهذا ما قرره الجيلي (ت ٨٠٥هـ) فقال :«إن الولاية أفضل من النبوة مطلقا في النبي ، ونبوة الولاية أفضل من نبوة التشريع ، ونبوة التشريع أفضل من نبوة الرسالة»[٥] . قال الشوكاني : « فالرجل – يعني ابن عربي – وأهل نحلته مصرحون بأنهم أنبياء تصريحاً لا شك فيه ، بل لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء»[٦]. وتجدر الإشارة إلى وجه التشابه بين كلام الشيعة عن الأئمة وكلام الصوفية عن الأولياء ، فإن كلاً من الطائفتين (الشيعة والصوفية) يرون أن الإمام والولي لا يكون

---

(١) طبقات الشعراني ، ط : دار العلم للجميع (١/ ٦٨) .

(٢) ينظر : فصوص الحكم (ص ٦٢) .

(٣) الفتوحات (٢/ ٦٤) ، فصوص الحكم ص (١٣٤-١٣٥).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٥٥).

(٥) الإنسان الكامل (٢/ ١٦٧)، المعجم الصوفي للحفني (٢٦٣).

(٦) الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ، ص (١٣١).

إلا من آل بيت النبي ﷺ وهذا واضح جداً عند الشيعة، وأما الصوفية فبمراجعة أنساب الأولياء من رؤساء الفرق عندهم نجدهم يوصلون أنسابهم إلى آل بيت النبي ﷺ[١]، قال الكلاباذي (ت٣٨٠هـ) إن « ممن نطق بعلومهم وعبر عن مواجيدهم وفسر مقامتهم ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً .. علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم»[٢].

والرافضة تبرز أهمية الإمام وتغالي فيه، كما يقول الخميني ت (١٤١٠هـ) «إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[٣]. ويقول أحد المعاصرين وهو ميرزا الخرساني : « بل نقول : إن أهمية الإمام أهم من بعث الرسول لأن تركه نقص للغرض وهدم للبناء »[٤] .

وهذه الأقوال من الكفر وهي معلومة البطلان ومن قالها واعتقدها على خطر عظيم إن لم يتب من ذلك ولا سيما من كان بمنزلة هؤلاء .

ومع أن كلا الطائفتين قد لا يصرحون ببعض تلك الأقوال لكل أحد بل يكتمونها بينهم أو يطلقون كلمات رمزية ملغزة مثل لفظ الحفظ

---

(١) ينظر: الطرق الصوفية زكريا بيومي ، ص (١٤٧)، ولاية الله والطريق إليها (٥٧، ٧٤) إبراهيم هلال، الصلة بين التصوف والتشيع كامل الشيبي (٤٣٨-٤٤٨) مبحث السلاسل الصوفية.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص (٢٧-٢٩) مبحث في رجال التصوف . دار الكتب العلمية، بيروت، ط.. ١٤٠٠هـ.

(٣) الحكومة الإسلامية للخميني ص (٥٢).

(٤) أعلام التصحيح والاعتدال (ص ٩٥) ، لخالد البديوي نقلاً عن الولاية التكوينية .

أو الرعاية ، ولكن ألفاظهم وعباراتهم توحي بأن معنى لفظ مثل الحفظ والرعاية في حق ساداتهم من الأئمة والأولياء تعني العصمة ، فيقول غالبيتهم : «الولي محفوظ والنبي معصوم وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطئ ولا يذنب»(١) .

ويبدو أن التفرقة بين العصمة والحفظ عند متأخري الصوفية ، وإلا فالأصل أن العصمة لكل من النبي والولي، للنبي أولاً ، وللولي بالوراثة الروحية.

وهذا ما عليه الشيعة فقد أسندوا ذلك الاختصاص النبوي إلى علي رضي الله عنه أولاً ثم إلى الأئمة من بعده ، وعن طريق الشيعة دخلت هذه المفاضلة إلى أوساط المتصوفة ، ثم توسع فيها متأخروهم فجعلوا الولي محفوظاً من كل ما للشرع عليه إعتراض(٢) .

وقد بيّن العلماء خطأ وضلال أصحاب هذه الدعاوى ، وتصدوا لها بمؤلفات تهدم بنيانهم من أساسه ، مثل ابن الجوزي والغزالي وابن تيمية والشوكاني غفر الله لنا ولهم ، وعدّوهم من المبتدعة (٣) الذين ضلوا عن سواء الصراط ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

ومن المعلوم بالضرورة والإجماع من عقيدة أهل السنة أنهم لا

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٤) .

(٢) انظر : الرسالة القشيرية ص(١١٧) .

(٣) ينظر : إحياء علوم الدين (٣/ ٤٢٦ - ٤٢٩) ، تلبيس ابليس لابن الجوزي مبحث التلبيس على الصوفية ، منهاج السنة لابن تيمية على سبيل المثال (١/ ٤٥، ٤٧) .

يفضلون أحداً من الأولياء والصالحين على أحد من الأنبياء بأي حال ويقولون: أفضل أولياء الله تعالى الأنبياء ، وأفضل الأنبياء المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أُولو العزم ، وأفضل أولي العزم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأولياء الله متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى ، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية، وليس لهم ميزة على غيرهم بلباس، أو أمر آخر ، ويوجدون في أصناف الناس، وليسوا بمعصومين، وما صدر عنهم يؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة، ولا عبرة بما عليه من خالف ذلك من صوفية الملاحدة الفلاسفة ولا غيرهم من المبتدعة.

قال الإمام الطحاوي (ت ٣٢٤هـ) -رَحِمَهُ اللهُ - ، «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام» ونقول : « نبي واحد أفضل من جميع الأولياء »[1].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاق سلف الأمة والأئمة على ذلك، ورد على الذين يفضلون الأولياء على الأنبياء ثم بين أن كفرهم أعظم من كفر اليهود والنصارى[2]، وباختصار فهذه الدعوى من جملة الأخطاء الكبيرة والانحرافات عند هؤلاء الغلاة من المتصوفة وغيرهم ،وهي مبنية على أوهام لا على حقائق حيث ظنوا أن الوحي الشيطاني إلى أوليائهم وحيٌ رحمانيٌ ، وتوهموا أن العلم الذي عندهم هو العلم بالله رب

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص(٥٥٥) ، والفرقان (ص ١٩٨) وما بعدها ، وانظر : جامع الرسائل والمسائل (٤/ ٥٨) وما بعدها .

(٢) الفرقان (ص ١٩٨) وما بعدها ، وانظر : جامع الرسائل والمسائل (٤/ ٥٨) وما بعدها .

العالمين ، واعتقدوا أن النبوة هي صلة بين النبي وأمته، والواقع أنها هي صلة بالله أولا « والرسول ﷺ إذا خاطب الخلق وبلّغهم الرسالة لم يفارق الولاية ، بل هو ولي الله في تلك الحال كما هو ولي الله في سائر أحواله ، ثم إن أفضل ما عند الولي هو ما يأخذه عن الرسول ﷺ »[1]، لا ما يأخذه عن طريق ما يلقى عليه من تحديث أو إلهام ، ولهذا كان أبو بكر ﷺ أفضل من عمر ﷺ مع أنه محدث ملهم كما أخبر النبي ﷺ .

والله أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل

---

(١) ينظر : مجموع الفتاوى (٤/ ١٧١-١٧٢) ، و(١٠/ ٤١٤) ، وبغيت المرتاد(ص ٣٨٧) .

الخاتمة

في أهم نتائج البحث

الحمد لله وحده وبعد :

فإن الولاية من الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة بمعان واضحة الدلالة ، لا يصح الخروج عن معانيها كالمحبة والنصرة والقرب والأمن مما يخاف منه الناس في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن السلف أهل السنة والجماعة لم يخرجوا عن المعاني الشرعية التي دلت عليها النصوص بل وقفوا عندها وأخذوا العبرة منها والدروس العملية التي تقرب إلى الله تعالى، وهذا هو الواجب على كل مسلم ولكن :-

- غلاة الصوفية خرجوا عن المعاني الشرعية التي تبين المراد بالولي والولاية الصحيحة.
- وضوح التشابه بين الصوفية والشيعة في كثير من مسائل الولاية كالحفظ والعصمة وخرق العادة ووراثة الولاية والإمامة، وأن حامل هذا اللقب لا بد أن يكون من العترة الطاهرة سواء بصدق أو ادعاءً .
- أن هؤلاء الغلاة بالغوا في كثير من مسائل الولاية بأمور أدت إلى تقديس الأشخاص و الغلو فيهم ورفعهم إلى مالا يحق لأحد من الخلق لا من الأنبياء ولا من دونهم من الناس كعلم الغيب، والتلقي عن الله مباشرة بلا واسطة وأن الولاية أفضل من النبوة

واستمرارها ، وأن الأولياء لهم القدرة على التصرف في أمور الكون في حياتهم أو بعد مماتهم ولذا يرى أعداد من الصوفية يطوفون حول الأضرحة ويلهجون بدعاء أصحابها وندائهم من دون الله تعالى .

- ثم إن مثل هذه الآراء والأفكار التي بدأها الحكيم الترمذي وكمّلها ابن عربي، وتبناها غلاة الصوفية قديماً وحديثاً أدت إلى العبث بالمعنى الشرعي للولاية الذي يسعى إليه كل مسلم عرف الله حق المعرفة .
- ومن ثم فقد بين العلماء المحققون ما خالط الولاية عند الصوفية من الغموض والرمزية، وأمور دخيلة على المعنى الشرعي وغلّطوا قائليها و بينوا جنايتهم على كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ ، وتحريفه عن مواضعه مما يوقع أصحاب هذه الطرق في البدع العظيمة أو يخرجهم من الإسلام ، نسأل الله السلامة والعافية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين،،،،

أهم المصادر والمراجع

(١) - **القرآن الكريم .**

(٢) - **ابن الأثير : مجد الدين المبارك بن محمد .**

النهاية في غريب الحديث ، تحقيق الزاوي والطناحي نشر المكتبة الإسلامية لاهور .

(٣) - **ابن أبي العز علي بن علي .**

شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق جماعة من العلماء ط٤ ، ١٣٩١هـ ، بيروت.

(٤) - **ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام :**

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق ناصر العقل، ط الشؤون الإسلامية بالمملكة ١٤١٩هـ .

- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد ، تحقيق : د . موسى الدويش ، ط: مكتبة العلوم والحكم ، سنة ١٤٠٨ هـ .

- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، حققه عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان - دمشق ، ١٤٠٥ هـ .

- كتاب الصفدية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط : الأولى ، دار الهدي النبوي ، المنصورة - مصر ، ١٤٢١ هـ.

- مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب الشيخ : عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ، ط : الرياض ، بدون سنة الطبع .

- مجموعة الرسائل والمسائل ، ط : الأولى ١٤٠٣ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

- النبوات : تحقيق : عبدالعزيز صالح الطويان ، مكتبة أضواء السلف - الرياض ، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، وط : السلفية ، بدون سنة الطبع .

- منهاج السنة النبوية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط : جامعة الإمام ، سنة ١٤٠٦ هـ .

(٥) - ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج :

تلبيس إبليس ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثانية ، تحقيق : دار السيد الجميلي ، ١٤١٩ هـ .

(٦) - ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي :

المقدمة ، ط : دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

(٧) - ابن سينا علي بن سينا :

الإشارات والتنبيهات مع شرح الطوسي ، تحقيق سليمان دنيا ، دمياط ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٧م.

(٨)- ابن عجيبة : أحمد :

معراج التشوف إلى حقائق التصوف تصحيح التلمساني مطبعة الإعتدال

دمشق ١٣٥٥هـ

(٩) - ابن عربي ، محيي الدين :

الفتوحات المكية ، تحقيق : عثمان يحيى ، ومراجعة إبراهيم مدكور ، ط ١٣٩٢ هـ ، القاهرة .

فصوص الحكم ، مطبعة العلوم ، ١٤٠٠ هـ ، لبنان .

(١٠) - ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا.

معجم مقاييس اللغة ط٢ ، الحلبي ، ١٣٨٩هـ.

(١١) - ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد :

المغني ، ط : مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

(١٢) - ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب :

- التفسير القيم ، جمع محمد أويس الندوي ، ط : دار العلوم الحديثة - بيروت ، ١٣٦٧ هـ .

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق : محمد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(١٣) - ابن كثير ، إسماعيل بن عمر :

- البداية والنهاية ، مكتبة السعادة ، ١٣٥١ هـ .

- تفسير القرآن العظيم ، ط : دار المعرفة ١٤٠٣ هـ ، بيروت .

(١٤) - ابن منظور ، محمد بن مكرم الإفريقي المصري :

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٨ هـ .

(١٥) - **أبو طالب المكي ، محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي :**

قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ط : مصطفى الحلبي ، ١٣٨٦ هـ ، القاهرة .

(١٦) - **أبو عبدالعزيز : إدريس محمود إدريس :**

مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ الرياض .

(١٧) - **أبو الوفاء التفتازاني :**

ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ط : الأنجلو ، ١٩٥٨ م ، القاهرة .

(١٨) - **إسماعيل ، محمد :**

معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، ط : دار الفكر العربي .

(١٩) - **الأصفهاني ، أبو نعيم ، أحمد بن عبدالله :**

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.

(٢٠) - **البخاري ، محمد بن إسماعيل .**

صحيح البخاري ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر .

(٢٠)- بدوي ، عبدالرحمن

شطحات الصوفية ،ط ٣ الكويت وكالة المطبوعات ١٩٨٧م .

(٢١) - **البديوي ، خالد :**

أعلام الصحيح والاعتدال ط ١ ، ١٤٢٧هـ.

(٢٢) - **بركة ، عبدالفتاح :**

الحكيم الترمذي ونظرية الولاية ، ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٧١ م ، القاهرة .

(٢٣) - **بناني ، أحمد بن محمد :**

موقف ابن تيمية من التصوف ، ط : الأولى ، دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٦ هـ .

(٢٤) - **الترمذي ، محمد بن علي بن الحسن الحكيم :**

ختم الأولياء ، تحقيق : عثمان إسماعيل يحيى ، ط : الكاثوليكية ، بيروت.

(٢٥) - **التهانوي ، محمد بن علي :**

كشاف اصطلاحات الفنون ، منشورات الخياط ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

(٢٦) - **الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد :**

التعريفات ، وضع فهارسه وحواشيه : محمد باسل عيون السود ، ط : الأولى ، ١٤٠١ هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢٧) - **الجزار ، أحمد :**

الولاية بين الجيلاني وابن تيمية ، ط : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٩٠ م ، القاهرة .

(٢٨) - **جلوي ، سارة بنت عبدالمحسن :**

نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ، ط : الأولى ، ١٤١١ هـ ، دار المنار - جدة .

(٢٩) - **الجوهري ، إسماعيل بن حماد :**

الصحاح ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

(٣٠) - **الجيلي ، عبدالكريم بن إبراهيم :**

الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، ط : ٤ ، مكتبة الحلبي ١٩٨١ م ، مصر .

(٣١)-**الحفني ، عبدالمنعم :**

معجم المصطلحات الصوفية ، دار المسيرة بيروت ، ط ٢.

(٣٢) - **حكيم ، سعاد :**

المعجم الصوفي ، ط : دندرة ، بيروت ، ١٩٨١ م .

(٣٣) - **حلمي ، محمد مصطفى :**

ابن تيمية والتصوف ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية، ١٤٠٣ هـ .

(٣٤) - **الخميني :**

الحكومة الاسلامية ، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى ، بدون مكان

الطبع وسنته.

(٣٥) - **دمشقية، عبدالرحمن :**

أبو حامد الغزالي والتصوف، ط : دار طيبة، ١٤٠٦ هـ، الرياض .

(٣٦) - **الذهبي، شمس الدين، أبو عبدالله، محمد بن أحمد :**

سير أعلام النبلاء، تحقيق : بشار عواد وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣٧) - **الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر:**

التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ .

(٣٨) - **الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر :**

أساس البلاغة، ط : دار الفكر - بيروت .

(٣٩) - **زيدان، يوسف زيدان :**

عبدالكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨ م .

(٤٠) - **الزين، سميح عاطف :**

الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل، ط : الرابعة، ١٤١٣ هـ، الشركة العالمية، دار الكتاب العلمي -بيروت.

(٤١) - **السكندري : ابن عطاء الله .**

لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي، تحقيق عبدالحليم محمود، دار

الشام القاهرة ١٤٠٦هـ.

(٤٢) - **السلمي ، أبو عبدالرحمن :**

طبقات الصوفية ، ط : الخانجي ، ١٤١٨ هـ ، القاهرة .

(٤٣) - **الشاذلي ، جمال الدين محمد أبو المواهب :**

كتاب قوانين حكم الإشراق ، ولاية سورية الجلية، نظارة المعارف العمومية، ١٣٠٩هـ.

(٤٤) - **الشعراني ، عبدالوهاب بن أحمد :**

- طبقات الصوفية ، ط : مكتبة صبيح ، القاهرة ، بدون سنة الطبع .
- اليواقيت والجواهر ، ط : دار الفكر ، ١٣٥١ هـ .

(٤٥) - **شقفة، محمد فهر :**

التصوف بين الحق والخلق ، الدار السلفية - الكويت ، ١٤٠٣ هـ .

(٤٦) - **الشوكاني ، محمد بن علي :**

- قطر الولي على حديث الولي ، تحقيق : د . إبراهيم هلال ، نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٣٩٧ هـ.

(٤٧) - **الشيبي ، كامل مصطفى:**

الصلة بين التصوف والتشيع ، مطبعة الزهراء ١٣٨٣ هـ ، بغداد .

(٤٨) - **صادق ، سليم صادق :**

المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، ط : مكتبة الرشد ، ١٤١٥ هـ ، الرياض .

(٤٩) - **الطبراني ، الحافظ سليمان بن أحمد :**

المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي السلفي ، الدار العربية بغداد ، ط : الأولى ، ١٣٩٨ هـ .

(٥٠) - **الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير :**

جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق : محمود شاكر ، ط : دار المعارف بمصر .

(٥١) - **الطوسي ، أبو نصر ، عبدالله بن علي السَّرَّاج :**

اللمع ، تحقيق وتعليق : عبدالحليم محمود ، دار المصري للطباعة - مصر ، بدون سنة الطبع .

(٥٢) - **ظهير ، إحسان إلهي :**

التصوف (المنشأ والمصادر) ، ترجمان السنة - لاهور ، باكستان ، ١٤٠٦ هـ .

(٥٣) - **عبدالخالق ، عبدالرحمن :**

الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة . ط٣ ، ١٤٠٦هـ ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت.

(٥٤) - **العاملي :**

الولاية التكوينية ، دار الهادي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ.

(٥٥) - **العجم ، رفيق .**

موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، ط(١) ، ١٩٩٩م.

(٥٦) - **العبده ، وعبدالحكيم ، محمد العبده ، وطارق عبدالحكيم :**

الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم - الكويت، ط : الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥٧) - **العربي ، علي حرازم بن العربي :**

جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني ، دار الجيل - بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

(٥٨) - **عفيفي أبو العلا:**

التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ط : دار المعارف ، سنة ١٩٦٣م.

(٥٩) - **العسقلاني أحمد بن علي المصري ، المعروف بابن حجر :**

- الإصابة في تمييز الصحابة ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، نشر : المطبعة السلفية ، ١٣٨٠ هـ ، القاهرة .

(٦٠) - **الغزالي ، محمد بن محمد :**

- إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٦١) - **القشيري، أبو القاسم، عبدالكريم بن هوازن :**

الرسالة القشيرية، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٧٤ م، وأخرى ط : دار الكتاب العربي - بيروت، بدون سنة الطبع .

(٦٢) - **القشيري النيسابوري، الإمام مسلم بن الحجاج :**

صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر - لبنان، ١٤٠٣ هـ .

(٦٣) - **الكبي، زهير شفيق :**

فقه التصوف، ط : دار الفكر، ١٩٩٣ م، بيروت .

(٦٤) - **الكسنـزان محمد الحسيني:**

موسوعة الكسنـزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار آية، بيروت، الناشر، دار المحبة، دمشق، ١٤٢٠هـ.

(٦٥) - **الكلاباذي، تاج الإسلام، أبو بكر محمد :**

التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٠ هـ.

(٦٦) - **الكمشخانوي، أحمد :**

كتاب جامع الأصول في الأولياء ... مصر المطبعة الوهبية ١٢٩٨هـ.

(٦٧) - **كيفيتش، علي شود :**

الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، ترجمه من الفرنسية، د/ أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء، مراكش - المغرب، ١٩٨٦م .

(٦٨) - **لوح ، محمد أحمد :**

تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، ١٤١٦ هـ ، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض .

(٦٩) - **ميهوب ، سيد عبدالستار :**

- القرآن والنبوة ، ط : دار الهداية - القاهرة ، ١٩٩٦ م .

- الولاية عند عبدالكريم الجيلي ، ط : دار الهداية للطباعة والنشر ، ١٩٩٠ م ، القاهرة .

(٧٠) - **الملطي ، أحمد بن مبارك:**

كتاب الأبريز ، ط: مكتبة صبيح مصر ،بدون سنة الطبع.

(٧١) - **النبهاني ، يوسف بن إسماعيل :**

جامع كرامات الأولياء ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، دار الفكر - بيروت ، ١٤١٤ هـ .

(٧٠)- **النفري ، محمد :**

المواقف ، تحقيق آرثر آربري مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .

(٧١) - **نيكولسون :**

في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ط : لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٣٦٦ هـ ، ترجمة : د/ أبو العلا عفيفي .

(٧٢) - **الهجويري ، علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي :**

كشف المحجوب ، دراسة وترجمة وتعليق : إسعاد عبدالهادي قنديل ، الشؤون الإسلامية ، جمهورية مصر العربية ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٥ هـ.

(٧٣) - **الهيثمي ، الحافظ ، نور الدين ، علي بن أبي بكر :**

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت ، بدون سنة الطبع .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة